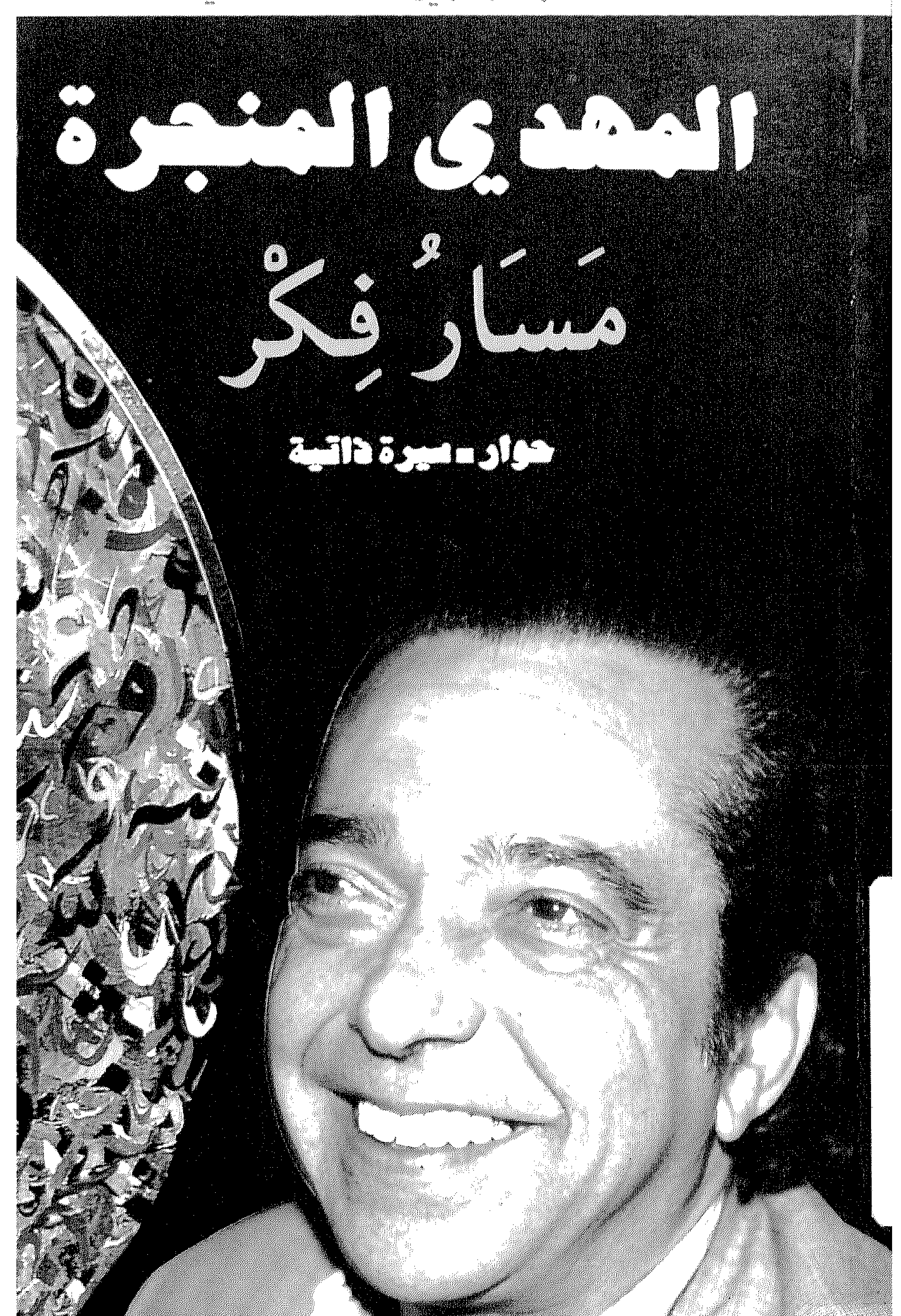
محمد بهجاجي - حسن نجمي

المهدي المنجرة

مَسَارُ فِكْرْ

حوار - سيرة ذاتية



إهـــــــداء2005

جمعية أصدقاء المكتبة

المغرب

المدى المنجورة

مسار فكر

الكتـــاب : المهدي المنجرة "مسار فكر"
حـــوار : سيرة ذاتية
الـطبعــــة : الطبعة الأولى1997 – الطبعة الثانية 1998 وليلي
الطبعة الثالثة 2002 – الطبعة الرابعة 2003

تصميم الغلاف : عبد الله الحريري
صورة الغلاف : محمد مرادجي
المطـبـعـة : مطبعة النجاح الجديدة – الدارالبيضاء
الإيـــداع : القانوني رقم 71 / 1997
ردمـــك : 9981-1728-3-9
موقع الأستاذ المهدي المنجرة على شكبة الأنترنيت : www.elmandjra.org

محمد بهجاجي - حسن نجمي

المدى المنجرة

مَسَارُ فِكْر

حوار - سيرة ذاتية

المهدي المنجرة:
جوهر واحد .. وانشغالات متعددة

بدأت الفكرة صغيرة ثم تحولت شيئا فشيئا إلى مشروع لكتابة سيرة ذاتية للدكتور المهدي المنجرة، أحد أبرز المفكرين العرب المعاصرين. الرجل الذي انتبه مبكرا إلى قيمة الربط بين العلم والثقافة، بل وانتبه إلى أن الفعل الفكري والثقافي لايعني ممارسة الخطابة، بل إيلاء المعرفة العلمية القيمة التي تستحقها في الحياة اليومية وفي كل مشروع للتنمية.

وكانت الصورة العامة التي لدينا عن المنجرة أنه متعدد الاهتمامات، رجل علم واتصال وفكر وجماليات ونشاط حقوقي...، لكن حوارنا المفتوح والمسترسل معه نبّهنا إلى أن للرجل جوهرا واحدا، وهو تحويل العلم إلى مِلْك مشاع بين الناس حتى لايظل مجرد سلوك مختبري أو لغة خاصة تتداولها النخبة في الجامعة والأكاديميات.

ومثل ورشة حية، مثل خلية نحل في جسد واحد، وكما لو كانت له ألف يد ويد، يسابق الزمن ويطاول المسافات بازدحام برامجه وأسفاره وإسهاماته وحضوراته ومداخلاته ومقترحاته وأفكاره ومبادراته.

ورغم تفكيره الحداثي المتقدم، دائما نجده يعيد الاعتبار لجذور الفكر والهوية. يمضي عميقا إلى المستقبل مثلما لاينسى ذاكرة خطواته. ومن هذا الموقع، وبهذا الإحساس الجوهري، كان سباقا إلى أفكار جديدة في المنجز الفكري الكوني، وكم اقترح من مشاريع وأفكار أضحت تُنسب في كثير من الأحيان إلى غيره.

وعبر جلسات حوارنا -الذي أنجزناه لفائدة صحيفة «الاتحاد الاشتراكي» المغربية- غمرنا المفكر المغربي الأكثر غضبا وانفعالا، عندما يتعلق الأمر بنزاهة الفكر ودقة الموقف النظري أو المبدئي، غمرنا بتواضع كبير وبروح تعاون عثرنا فيها بالأساس على روح رجل الإعلام والاتصال فيه. وبالقدر الذي كاد هذا التواضع يحجب عنا طبيعة مشروعه بقدر ما أدهشنا أن المشروع ليس مجرد خطاطة أو ترسيمة، بل هو هذا الحرص على إنتاج الفكر وهذا الحرص على أن تكون للفكر مردودية.

لذلك كتب المنجرة آلاف الصفحات، مؤلفات ودراسات ومقالات ومداخلات ومحاضرات، ونشر أفكاره بعدة لغات، وتواصل مع العديد من المثقفين والمفكرين والعلماء من مختلف القارات، وحاضر أكثر من غيره، وصرخ من أجل الجنوب (في مواجهة هيمنة الشمال) أكثر من غيره.

والأساس أنه ظل أكثر حرصا على استقلاليته فكريا وسياسيا : رجل حوار مع الجميع دون أن يحسب نفسه إلا على حقائق الواقع ومستلزمات العلم والمعرفة. ومن ثمّ صراحته المُزعجة وتعبيره الأقل حذرا تجاه هؤلاء أو أولئك.

بالنسبة إلينا، اعتبرنا منذ البداية أن حوارنا مع المهدي المنجرة لاتستدعيه فقط اعتبارات مهنية، بل ضرورة ثقافية أساسا واستجابة لرغبة في تكريم رجل وطني صادق ونزيه كرّس جهده ووقته وإمكاناته الذاتية لخدمة بلاده وشعبه وهويته العربية الإسلامية، هويته كمثقف من جنوب العالم أساسا.

في هذا الحوار إذن محاولة لتقديم مسار فكر، محاولة أيضا لكتابة سيرة ذاتية أولية قد يتاح للدكتور المنجرة نفسه أن يكتبها يوما بكثير من التفصيل والتدقيق والاستعادة، وذلك لأن الحاجة إلى مثل هذه

السير تظل أساسية في رصد مسار الثقافة المغربية عبر أسفارها وأبعادها وتحولاتها المختلفة. فالأمر أولا ليس مجرد إشباع للذات، بل لاقتناعنا بأن الحضور الخاص للأفراد -خصوصا أولئك الذين من حجم المنجرة والجابري والعروي..، نقصد أركان الفكر المغربي- ليس حضورا في ذاته، وإنما هو منطلقات وامتدادات في الخطاب والممارسة.

هو مجرد حوار إعلامي وثقافي، ولكنه تحية أيضا للرجل وللفكر معا.

محمد بهجاجي، حسن نجمي
الدارالبيضاء 97/01/01

طفولـــة رباطيـــة

□ كـيـف تشكـل لديك الـوعي الأول بـالإنسـان والأشـيـاء والكون؟ ومـاهو المؤثر الذي تعتبره أسـاسـيـا في تكوين مـعـالم تربيتك الأولى؟

■ تحددت معالم تربيتي الأولى من ذلك الاهتمام المبكر الذي كان يوليه والدي رحمه الله لمسائل التكوين والتربية، ولضرورة أن يفتحنا على عوالم وعلاقات ومعارف. والدي لم يكن خريج معهد أو جامعة، ومع ذلك اعتمد على تكوين ذاتي. كان يتحدث ست أو سبع لغات ويسافر كثيرا بحيث أقام خلال الثلاثينات لمدة من الزمن في السنغال ثم في ألمانيا وانجلترا، إلا أن اهتمامه الرئيسي تمثل –بشكل كبير– في المسألة التربوية. لقد كان يمارس التجارة، ثم انخرط –في ما بعد– في العمل العقاري، لكنه كان إلى جانب ذلك يعاشر العلماء ويحضر منتدياتهم، وهو التقليد الذي كان سائدا في أوساط جميع العائلات، خاصة في المناسبات والأعياد. حظنا –نحن

الأبناء في هذه الفترة- أن رافقناه في عشرته تلك، وبهذه الطريقة تعرفت على الفقيه الشيخ بلعربي العلوي الذي كان يسكن بيتا مجاورا لنا، وعلى الفقيه الزموري الذي كان يسكن بالدارالبيضاء، وعلى عدة شخصيات أخرى. في هذه اللحظة بالذات انغرس فينا هذا الشغف بالمعرفة والعلم والتربية، شغف اتخذ لدى والدي منحى آخر عبر عنه رحمه الله بالتشجيع على خلق بعض المؤسسات التربوية وخاصة مؤسسات التربية المهنية بمدينتي الرباط وسلا، وقد تعزز لديه هذا الشغف حين لم يتمكن من تسجيل أخي الأكبر عباس رحمه الله بليسي غورو بالرباط نظرا لطبيعة السياسة الاستعمارية آنذاك. مما دفع بالوالد إلى أن يتخذ قراره بإرسال عباس إلى متابعة دراسته بمدرسة شانيل للتجارة بسويسرا، وقراره بعدم إرسال أي من أبنائه إلى فرنسا لمتابعة الدراسة وقد سهر الوالد مباشرة على احترام هذا القرار، وحين وافته المنية كان جميع أبنائه من خريجي جامعات انجليزية أو أمريكية.

إن انشغال والدي بعالم التجارة والمال لم يكن إلا هما ثانويا، بل إن نجاحه المادي في هذا العالم كان يعطي الانطباع لدينا بأنه متضايق من ذلك النجاح، فما كان يهمه هو مجالسة العالم الفلاني، وترسيخ

قيم ومعارف في عقول أبنائه وقلوبهم.

بالإضافة إلى العنصر التربوي في نشأتي الأولى كانت هناك بالطبع المرجعية الإسلامية التي كان يعتبرها الوالد العمل الأساسي الأول والأخير، وهناك أيضا المرجعية الحضارية والثقافية المحلية والعربية والإنسانية.

□ ماذا عن فضاء البيت الذي تربيت فيه، بنيته المعمارية، موقعه والعلاقات الإنسانية داخله؟

■ ولدت بالرباط في بيت متواضع بحي يوجد خارج سور المدينة كان يحمل إسم مرصا، وهو من أول البيوت التي بناها والدي هناك منذ أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات، ومعلوم أن هذا البيت هو الذي يأوي الآن مقر حزب الاستقلال.

أشير إلى أنه بالإضافة إلى اهتمام والدي بتكويننا الأصيل، فقد استقدم مربية فرنسية إلى بيتنا لتربية الأبناء، خاصة وأن والدتي رحمها الله كانت قد عانت من مضاعفات الحمل بأختي. كان عمري آنذاك أربع سنوات تقريبا، والآنسة «ردي» لاتعيش بيننا باعتبارها مكونا من مكونات الحضارة الفرنسية، بل كعنصر وظيفي، وأركز جيدا على هذه الكلمة، إذ أن وجودها كان يفرض علينا تعلم اللغة

الفرنسية بالإضافة إلى دورها في خدمة الأبناء. أشير -أيضا- إلى أن الوالد كان يستقدم كذلك، وخلال العطل المدرسية، معلما فرنسيا يهتم بتلقيننا دروسا في التربية الوطنية، وأذكر أن هذا المعلم كان ذا خبرة واسعة في الحياة .. والسفر.

هكذا إذن كان الوالد ينحو منحى التكامل والتوازن في تكويننا التربوي، فهناك الفرنسيان من جهة، وهناك أساتذة مغاربة يسهرون على تعميق معرفتنا باللغة العربية وبديننا الإسلامي، يحضرني في هذا السياق إسم الاستاذ إدريس الكتاني الذي كان يدرسنا بالبيت أصول اللغة والثقافة العربيتين.

وبالنسبة للعلاقات الإنسانية داخل بيتنا أشير إلى أخوي عمر ونجية. الأول عين أول مدير تنفيذي في البنك الدولي بعد حصولنا على الاستقلال، وتقلد منصب مدير التخطيط إلى جانب عبد الرحيم بوعبيد ومحمد الطاهري وعبد الغني الصبيحي ومحمد الحبابي وعزيز بلال وآخرين. وأذكر أن هذا الأخ كان قد سبق له أن شغل -بالإضافة إلى وظيفته في البنك الدولي- مهمة وزير مفوض في السفارة المغربية بواشنطن مكلف بالعلاقات الاقتصادية إلى جانب الاستاذ المهدي بنعبود، هذا الرجل الذي أثر في تكويني أكثر من أي

شخص آخر، لا فقط فضل معرفته وعمق علمه، ولكن بفضل تجسيده لسلوك شخصي وفكري يزاوج بين نبل الأفكار والأقوال والأعمال، وأذكر في نفس السياق أن العاملين بالسفارة المغربية في واشنطن ومن بينهم طبعا المهدي بنعبود وأخي عمر كانوا قد شنوا في سنة 1960 إضرابا حصل حوله تعاضد الجميع، فكان أن اتخذ القرار في المغرب بعودتهم، ومن ذلك اليوم اتخذ كل فرد من هؤلاء الموظفين طريقته الخاصة في الحياة. أستعيد هذه الواقعة بعد خمس وثلاثين سنة لأنبه إلى عنصر أساسي يتعلق بسلوك مثالي يعكس علاقات التضامن والتمسك بالمثل لدى الأفراد، وهو أمر يتطابق مع ما لقننا إياه الوالد.

أما أختي نجية فتعتبر أول مغربية تحصل على شهادة الإجازة من جامعة أمريكية، إنها أيضا أول مغربية تدرس بالولايات المتحدة الأمريكية، تماما مثلما كنت أول مغربي يلج مؤسسة أمريكية سنة 1948، وأول مغربي يحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة انجليزية. إنها رغبة الوالد .. وحلمه.

طفولـــة وطنيـــة

◻ ماهو مسار تعليمك الابتدائي والثانوي؟ وما الذي وجهك بعد اجتياز الشهادة الابتدائية نحو التعليم الانكلوساكسوني تحديدا ؟

■ تابعت دراستي الابتدائية بليسي غورو بالرباط، وفي سنة 1941 خلال ظروف الحرب العالمية الثانية انتقلت عائلتنا إلى الدارالبيضاء، فتم التحاقي بمدرسة الأعيان بحي موغادور، وفي نفس الوقت كنت أتابع تعليمي بالمسيد على يد الفقيه السعيدي، كما كنا نتابع تعليما خاصا بالبيت حيث يلتحق بنا أستاذ اللغة العربية.

في ما بعد تطورت الخطوات، التحقت بما كان يسمى الليسي الصغير الموجود بالقرب من ساحة فردان، وبعد حصولي على الشهادة الابتدائية التحقت بالليسي الكبير «اليوطي»، والمثير أنني كنت أحصل خلال كل سنة على التوبيخ، وهو ما دفع بهذه المؤسسة إلى طردي بحيث كان من غير الممكن نهائيا أن أعود إلى هذا الليسي،

مما دفع بوالدي إلى اتخاذ القرار بأن أسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

□ **لماذا كل هذا الغضب من طرف مؤسسة «اليوطي» ؟**

■ يتعلق الأمر بتوبيخات سياسية في الواقع، ذلك أنني كنت دائما أحصل على نقط دون المستوى في مادتي اللغة الفرنسية والتاريخ، لا لضعفي اللغوي والتعبيري، بل لأن أحد أساتذة اللغة الفرنسية كان يشترط عنصرا واحدا ليحصل التلميذ على النقطتين 11 و12 : أن يشيد التلميذ بالعلاقات الفرنسية -المغربية، والواقع أن بعضا من أصدقائي قد احترم هذا الشرط فذهب بعيدا في الحياة، وأذكر أن منهم من كان يستعيد في كل لحظة جملة محفوظة تقول بالحرف «المغاربة والفرنسيون .. يدا في يد». وحده المهدي الطفل لم يكن يستجيب لرغبة ذلك الاستاذ وشرطه، ومرجعي في ذلك مرة أخرى توجيهات الوالد ونمط التربية التي تلقيناها على يده. نفس المشكل كان قد حصل لي مع أستاذ مادة التاريخ، إذ كنت أحتج داخل القسم وأضرب على الطاولة عندما تحرف وقائع ما، وهو ما جعل الإدارة تعرض قضيتي مرارا على المجالس التأديبية، إلى أن اتخذ قرار الطرد. بعد ذلك حاول والدي أن يسجلني في مدرسة

خصوصية، لكن مديرها يرفض التحاق طفل مغربي مشاغب قد يؤثر على باقي الطلبة. إنني حين أتذكر مثل هذه الوقائع أشعر باعتزاز عميق، إذ على المرء ألا يكبت انفعالاته، وألا يستسلم لقبول الأوضاع كما هي، وعليه كذلك أن يحرص على معانقة التساؤل المستمر.

رحم الله الوالد فقد كان إصراره كبيرا على أن نتصرف بمثل هذا السلوك، تماما مثلما كان لايرى مانعا من أن يرانا نتحدث في مجامع الكبار ومنتدياتهم، وأعتقد في هذا الإطار أن تدخل الطفل في مثل هذه المقامات وفضوله أحيانا لهما فوائد كثيرة، قد يكون مثل هذا التدخل سلبيا في بعض الحالات أو قد تتم الإساءة إلى سير الجلسات وإلى وقارها، ومع ذلك يجب أن يتم تشجيع سلوك من هذا النوع. لقد قضيت مع الكبار من الناس في هذه الفترة وقتا أطول مما كنت أقضيه مع أندادي الصغار.

□ إلى حدود القرار بسفرك إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ماهي الصورة التي كونتها عن الفرنسي بشكل عام؟

■ إنها صورة شيزوفرينية، فهناك من جهة صورة عجيبة وعاطفية ومثالية نتعامل من خلالها مع الفرنسيين بحنان واحترام وأخلاق،

مثلما هو الحال مع مربيتنا ومعلمنا في مادة ألتربية البدنية، ومع أحد شركاء والدي في أول مكتب عقاري فتح بالدارالبيضاء باسم الأطلس، وكذلك مع عدد من الفرنسيين الذين كانوا يزوروننا في البيت ونجتمع معهم حول مائدة واحدة، وهناك -من جهة ثانية- صورة ثانية للفرنسي حين يتحرك كجزء من الكيان الاستعماري وكأحد آليات هذا الكيان، وهي الصورة التي كنا نلتقي بها في الإدارات ولدى بعض أساتذة الليسي أو التجار أو رجال الشرطة.

ازدواجية الصورة كانت تضعنا من حين لآخر أمام هذا السؤال «مع أي فرنسي نتعامل؟» كما كانت تصدمنا كثيرا. هناك واقعة لن أنساها أبدا، فحين كنت في سن الحادية عشرة اضطررت إلى أن أترك عائلتي بإيفران وأسافر وحدي إلى الدارالبيضاء لاجتياز امتحان الشهادة الابتدائية، وخلال العودة توقفت بمكناس بحثا عن وسيلة نقل إلى إيفران. بعد أن أضعت موعد انطلاق الحافلة. فحدث أن أقلتني شاحنة بها عساكر فرنسيون يتوجهون نحو آزرو، رافقتهم بلباسي الروحي وأنا شديد الحرص على عدم التعرف على هويتي المغربية، لقد كان العساكر طيبين معي، ناولوني العشاء ووفروا لي سريرا بثكنة هذه المدينة أقضي به الليل. لايمكن لأحد أن يتصور

الرهبة التي كانت تسكنني في تلك الليلة، بحيث كنت أتساءل في كل ثانية، ماذا لو عرفوا هويتي؟ لدرجة أنني بتُّ بملابسي حتى لايكتشفوا أنني كائن مختن. وأذكر واقعة ثانية تبرز هذه الحالة الازدواجية تجاه الفرنسي، فلقد كنت في سن الرابعة عشرة بمسبح إيفران، فاقترب كلب إحدى السيدات الفرنسيات من ماء المسبح، احتج أحد الفرنسيين فأجابه آخر «هناك عرب يسبحون هنا، فلم لا الكلاب؟». لم أتمالك نفسي، إذ قفزت نحو الرجل وضربته، وهي المرة الوحيدة في حياتي التي عبرت فيها عن انفعال عنف باليد، ولسوء حظي فالرجل الذي ضربته هو رئيس الأمن الاقليمي لمدينة إيفران، ومعناه أنهم حملوني إلى دائرة الشرطة حيث اعتقلت لمدة أربعة أو خمسة أيام، بدون علم العائلة التي ظلت تبحث عني دون جدوى. هاتان الواقعتان تشكلان جزءا من مرجعيتي فيما يتعلق بحقوق الانسان وبمبادئ الحق والحرية والاستقلال. لن أسمح للإستعمار أبدا، ولايمكن لي أن أتعامل معه، أو مع ما يشبهه اليوم وهو أشد وأقوى.

أول تلميذ مغربي في أمريكا

□ كيف استقبلت وأنت في سن الخامسة عشر عالما جديدا ومتغيرا؟ ماذا عن تعليمك الثانوي والجامعي؟ ولماذا اخترت هذا التخصص دون غيره؟

■ سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر ماي من سنة 1948 على متن الطائرة، إنها المرة الأولى التي أركب فيها هذا النوع من وسائل النقل، وإن كان اسمي قد ارتبط منذ يوم ولادتي بعالم الطيران، فقد أسس والدي منذ أواخر العشرينات «نادي الطيران بالمغرب»، وبعد الاستقلال أصبح أول رئيس مغربي له، في سنة 1933 كانت هناك مراسيم تدشين الخط الجوي بين الجزائر والدارالبيضاء، لكن أسبابا ما حالت دون سفر الوالد فانتدب المرحوم المهدي الصقلي ليمثله هناك. في الساعة السادسة من أحد صباحات 1933 توصل الوالد ببرقية لفتت انتباه العائلة، فالبرقية -يومها- شكل راق من أشكال الاتصال، قرأ الولد مضمون البرقية التي بعثها

المهدي الصقلي من الجزائر فقال لمن حوله «هذا إسم مولودنا الجديد قد وصل» ومن ثم سمتني العائلة باسم المهدي.

حين وطأت قدماي الأرض الأمريكية كانت سنة 1948 تعرف عددا من إشارات التاريخ : انطلاق البث التلفزيوني في الولايات المتحدة لأول مرة، تولي ترومان رئاسة الجمهورية، إجراء مباراة الملاكمة الشهيرة بين مارسيل سيردان ولاموتان، ظهور الأسطوانة الدائرية، وفي هذا التاريخ كانت نكبة فلسطين، بمعنى أن وصولي هناك قد ربطني مباشرة بجديد عالم الاتصال من جهة وبطبيعة الانشغال بقضية فلسطين من جهة أخرى، حيث سمح لي المقام هناك بأن أتابع ردود الفعل اتجاه النكبة، خاصة ردود الفعل داخل الأوساط الصهيونية، فهذه السنة كان لها تأثير واضح على المناخ العام الذي وجدت نفسي داخله. أول مؤسسة التحقت بها تسمى «باتني»، وهي مؤسسة ثانوية تجريبية كانت آنذاك حديثة العهد تم بناؤها في إحدى البوادي المكسوة بالثلج، ويقوم التعليم فيها على جملة من المبادئ التربوية الجديدة من بينها أولا: لاوجود لأشياء اسمها التنقيط أو الامتحان، ثانيا : الثقة المطلقة في الطلبة، فالاختلاط قائم بين الجنسين بدون أن يحدث ذلك أي مشكل

أخلاقي أو ما يشبهه. ثالثا : التوازن مابين حصص الدراسة وحصص العمل، فالمؤسسة كانت ضيعة في نفس الوقت والطلبة مدعوون بالتناوب للدراسة صباحا، وللحرث أو رعاية البقر والخيل أو البستنة... في الزوال، والمبدأ الرابع الذي تتم بلورته بهذه المؤسسة هو اعتمادها على الاكتفاء الذاتي، فالطلبة يتناولون وجباتهم الغذائية انطلاقا مما تجنيه أياديهم من حليب أو جبن أو خضر وفواكه، بالإضافة إلى أن نفس هؤلاء الطلبة هم الذين يطبخون وينظفون الأواني ويكنسون المرافق. مبدأ الاكتفاء الذاتي واحد من العناصر التي وجهت اهتمامي المبكر بضرورة تبني هذا المبدأ في أطروحاتي حول القضايا الاقتصادية والاجتماعية، كما أن الطلبة ... يومها -كانوا يعتزون بالاعتماد على النفس هذا المبدأ الشريف الذي لاتخفى قيمته. لقد استمر تكويني بهذه المؤسسة إلى حدود سنة 1950و تمكنت خلالها من الانفتاح على آفاق وقيم جديدة، ومازلت إلى الآن أحتفظ بالتقارير التي كان أساتذتي يرسلونها إلى العائلة (يضع الأستاذ المهدي أمامنا عددا من عروض وتقارير مدرسة باتني، من بينها عرض أنجزه عن التاريخ الأمريكي، ومعه كلمة الأستاذ تشيد بسعة تفكير التلميذ المهدي، وتشدد على انتباه هذا الطالب المغربي

إلى الظاهرة الامبريالية). إن اهتمامي بهذه الظاهرة متأت من اطلاعي في وقت سابق على كتاب حول هذا الموضوع لمؤلفه باركر توماس مون بعنوان «الامبريالية والسياسة العالمية» الصادر سنة 1926 . من العروض التي أنجزتها في هذه المدرسة مقارنة مابين الديمقراطية الجيفرسينية والديمقراطية الجاكسونية. كما اهتممت في تلك الفترة بمذهب «ماك ريكرس» الذي اشتهرت به الولايات المتحدة في عهد روزفلت مع نمو الرأسمالية وظهور الشركات الكبرى، وقد كان هذا المذهب يقوم على الدعوة إلى استئصال الفساد الاجتماعي ومحاربة الرشوة، ويتحرك لفائدة هذه الأفكار كتاب وأدباء وصحافيون. وبتاريخ 24 يناير 1949 أنجزت عرضا يحاول رصد التصورات العامة لحركة «ماك ريكرس». (يقدم لنا المهدي نسخة من هذا العرض المكتوب بخط اليد)، وأعددت بمناسبة بحث السنة الأخيرة عرضا آخر عن «مصادر الحضارة الأمريكية (نقرأ في وثائق المهدي ملاحظات الأستاذ الذي يعتبر أن كل فكرة من أفكار هذا العرض تستدعي تأليف كتاب مستقل، وينوه بذكاء التلميذ ودقة انتباهاته).

بعد «باتني» التحقت بجامعة «كورنيل»، والواقع أن خريجي

المؤسسة الأولى كانوا مقبولين مقدما من طرف كل الجامعات الأمريكية بالنظر إلى شهرة «باتني» ومصداقيتها، كان بإمكاني مثلا أن ألتحق بجامعة هارفاد أكبر المؤسسات الجامعية الأمريكية لكن انتشاء التلاميذ آنذاك كان هو أن يقبلوا في هارفاد ويتخلوا عن الإلتحاق بها. في «كورنيل» تابعت دراسة التخصص في البيولوجيا والكيمياء، لكن مع مطلع السنة الثانية أحسست بميول نحو العلوم الاجتماعية والسياسية فقررت أن أتابع تعليمي هناك مزاوجا بين البيولوجيا والكيمياء من جهة، والعلوم الاجتماعية والسياسية من جهة أخرى.

تنويع مصادر التكوين

□ ماهو الانطباع الذي كونته عن النظام التربوي الأمريكي بعد دراستك الثانوية في «باتني» ودراستك الجامعية في «كورنيل»، التي تابعت بها تعليما مزدوجا بشعبتي البيولوجيا والكيمياء والعلوم الاجتماعية والسياسية؟ وبماذا تفسر رغبتك في تنويع مصادر تكوينك؟

■ هناك فرق واضح بين النظام الفرنسي الذي يعطيك التوبيخات والنظام الأمريكي المفتوح الذي يشجع المبادرة ويسند الاجتهاد ويدعم تنويع المعرفة، وأود أن أشير إلى أنه إلى جانب متابعتي لدروس الكيمياء والبيولوجيا ولدروس العلوم الاجتماعية والسياسية كان لي اهتمام بدروس الأدب المقارن، خاصة الأدب الأمريكي والفرنسي في القرن التاسع عشر، وأذكر أن أحد مدرسينا -وهو الأستاذ نابوكوف الذي لم يكن قد اشتهر بعد- راجع عددا من أبحاثي في هذا الاتجاه، ولايزال تقييمه للعرض الذي قدمته حول

«الإخوة كارامازوف» راسخا في الذهن، فقد تناول الموضوع فكرة البحث عن الواقعية في رواية دوستويفسكي، ومن القضايا الأدبية والفكرية التي أنجزت حولها عروضا في هذه الفترة : أفكار رابلي (بتاريخ 18 يناير 1952)، رونسار – صورة الرجل من خلال أعماله (بتاريخ 18 مارس 1952)، الأنا والهو وديدرو (بتاريخ 20 يناير 1953)، العمل المشترك لبعض أعمال أندري جيد (بتاريخ 6 نونبر 1953) ... وعروض أخرى باللغتين الفرنسية والإنجليزية.

هكذا إذن يتأكد أن المنحى الذي يقوم عليه النظام التربوي هناك يعزز ضرورة التكوين المتكامل، ذلك أن السرعة التي تتطور به المعرفة في هذا العصر لم تعد تسمح بالتخصص الضيق، إن ثمة فكرة تتردد لدى عدد من المفكرين مفادها أن الشاعر إذا كان لا يفهم في الرياضيات فقد أضاع حلقات عديدة من فضاء تفكيره، ونفس الشيء بالنسبة للكيميائي أو للعالم الاجتماعي. ولا أحد يستطيع أن يضبط مثلا أين ينتهي تخصص الكيمياء ليبدأ تخصص آخر فنحن اليوم إزاء حضارة شبكية تتقاطع فيها المفاهيم والمعطيات والمعارف، لم تعد هناك معرفة خطية، بل النتائج توجد عادة في لحظات التقاطع بين علوم ومناهج عديدة ...

في سياق التكوين الشامل أود أن أشير إلى أن ارتباطي بالعلوم والأدب وازاه ارتباط بالجماليات والفنون منذ مدرسة «باتني»، فلقد كانت هذه المؤسسة -كما أشرت إلى ذلك من قبل- تقع بإحدى المناطق الجبلية بولاية فيرمونت (Vermont)، وكانت الثلوج تسمح بإضفاء بعد جمالي على المشهد العام للمنطقة، وضمن هذا المشهد كان علينا أن ننسج علاقات خاصة بالطبيعة من خلال التأمل في مكوناتها وفضاءاتها المختلفة، في هذا الإطار أعتقد دائما أن الشخص -أي شخص- لايمكن أن يكون بالفعل شفافا وعلى خلق نبيل إذا لم يندمج في الطبيعة وينصت إلى نبضها. مدرسة «باتني» سمحت لي أيضا بالاستدفاء بضوء الشعر وظلاله، ذلك أننا كنا نحضر -من حين لآخر- قراءات شعرية للشاعر الأمريكي (روبير فروست R. FROST 1963/1874) مرفوقة بعزف على البيان، لاتزال الصورة ماثلة بين عيني : فروست بشموخ قامته وشعره الأبيض والقصيدة في ذورة شعبيتها ورهافة الأحاسيس.

◻ كيف تتحدد علاقتك بالشعر؟ وماذا عن تلقي القصيدة مرفوقة بالموسيقى كما حدث عند الإنصات إلى فروست؟

■ تعود علاقتي بالشعر إلى سن العاشرة حين وجدت نفسي في

سنة 1943 أكتب خواطر بالفرنسية عن جزء من معيشي اليومي، ومنذ ذلك اليوم ظللت على ارتباط عميق بمجال الشعر وفتنته، وأشير بالمناسبة إلى أنني توصلت هذا الأسبوع برسالة من أحد الباحثين الفرنسيين يسألني «ما الذي تنتظره من الشعر؟»، ويود أن أطلعه على جملة من معطيات عن علاقتي بالشعر، وعلى شذرات شعرية يمكن أن أكون قد سجلتها في هذا العمر أو ذاك. أما تلقي الشعر فيخلق مقامات روحية أخرى، إنني حين أستعيد صورة فروست يقرأ القصيدة أستحضر ذلك النور الذي كان يغمر وجهه ويضيف إلى جمال القصيدة بهاء المشهد العام، ولقد كنت أحس -يومها- بانجذاب خاص وبسمو روحي هو نفس السمو الذي أستشعره كلما أنصت إلى رائعة من الروائع لمنير بشير أو لأم كلثوم مثلا. حالة هذا الانجذاب وهذا السمو تستعصي على الدراسة والتحليل، وأتحدى أي عالم أن يصف الطريقة العلمية الواقعية التي يحدث بها هذا التلقي، لأن من غير الممكن مطلقا أن نحصر الذات الإنسانية ونفهم كل حركاتها كما علمتنا الكيمياء ذلك.

أول مقال في الصحافة

□ نتابع تفاصيل إقامتك بالولايات المتحدة الأمريكيةمن زاوية مجهودك في العمل الوطني من أجل استقلال المغرب، ماذا عن علاقاتك الوطنية هناك؟ وكيف عشت تجربة مكتب الحركة الوطنية الذي افتتح سنة 1951؟

■ كنت أتابع دراستي الجامعية بالشكل الذي حاولت توضيحه من قبل، لكن ظروف إقامتي هناك جعلتني في عمق العمل الوطني من أجل القضية المغربية وقضايا المغرب العربي والعالم بشكل عام.

أذكر أنه في سنة 1951 التحق السي محمد الغزاوي وعائلته بعائلتنا حيث يوجد بيتنا على بعد مائة كيلومتر من نيويورك، هذان البيتان كانا، عند نهاية كل أسبوع، ملتقى لممثلي مختلف الدول لدى هيئة الأمم المتحدة، وأذكر أن هذا الملتقى قد احتضن في تلك الفترة مسؤولي حركة التحرير التونسية ومن بينهم السي باهي الأدغم. أما مكتب الحركة الوطنية المغربية فقد افتتح بواشنطن من

طرف الدكتور المهدي بنعبود سنة 1951، وقد التحق به المرحومان عبد الرحمان بنعبد العالي وعبد الرحمان أنكاي والمهدي بنونة الذين افتتحوا في سنة 1952 مكتب نيويورك. هكذا نجد أن مكتب واشنطن قد افتتح في نفس السنة التي عرفت نشوب أزمة خطيرة بين جلالة الملك محمد الخامس والمقيم العام الجنرال جوان، وهي الأزمة التي لم تترك أي خيار سوى اللجوء إلى المجتمع الدولي، ومعلوم أن جلالة الملك كان قد طلب أثناء زيارته لفرنسا في أكتوبر 1950 مراجعة عقد الحماية على طريق استقلال المغرب، ولم يتوقف رحمه الله عن التأكيد على هذا المطلب الذي كان يعبر عن تطلع عميق اعتقل من أجله عدد من الوطنيين في سنة 1951. إن هذه الفترة التي أستعيد هنا بعض تفاصيلها ستظل لها بصمات دالة في مسار تكويني وارتباطي بالعمل الوطني، كيف يمكن لي أن أنسى اليوم الذي تناولت فيه الغذاء معنا ببيتنا بفالي فيو وجوه ذات حضور تاريخي كبير، والصدفة قضت أن أتكفل شخصيا بإيصال بعضهم بالسيارة إلى البيت، أعني -هنا- علال الفاسي، بلحسن الوزاني، أحمد بنسودة، المكي الناصري الذين جاؤوا بقصد إبرام ميثاق وطني من أجل العمل على استقلال المغرب، وقد كان حاضرا معنا في ذلك

اليوم بالإضافة إلى والدي محمد الغزاوي، عبد الرحمان بنعبد العالي، عبد الرحمان أنكاي، المهدي بنونة ولوفون كيششيان أحد كبار الصحافيين الذي تطوع ليخصص جزءا هاما من وقته للدفاع عن القضية المغربية، كما حضر معنا في تلك المناسبة أفراد من العائلة.

كيف لي أن أنسى إصدار المكتب المغربي لأول بلاغ صحفي في نونبر 1951 حول خرق فرنسا لحقوق الإنسان والحريات العامة بالمغرب؟ هذه المبادرة تعززت في 13 أكتوبر من سنة 1952 بواشنطن بإصدار العدد الأول من «نشرة الاتصال»، كما تعززت بتهييء مكتب نيويورك لوثيقة في عشرين صفحة حول الصراع المغربي الفرنسي تتضمن المطالب المغربية في هذا الإطار. كيف لي أن أنسى مساعي ممثلي المغرب في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل أن تتبوأ القضية المغربية مكان الصدارة في انشغالات المجتمع الدولي؟ لقد مثلت سنة 1952 أكبر منعطف في تاريخ هذه القضية بحيث قبلت هيئة الأمم المتحدة مناقشة الملف المغربي. وهي نفس السنة التي نشرت فيها أول مقال لي في الصحافة وذلك بتاريخ 24 أكتوبر، يوم الاحتفال بذكرى تأسيس الأمم المتحدة، وقد نشرته «كورنيل دايلي سان» وهي اليومية التي تصدرها الجامعة التي كنت أدرس بها، وتنشر من هذه الجريدة

أكثر من خمسة آلاف نسخة.

أذكر -أيضا- في هذا الإطار العمل الجبار الذي قمنا به في إطار مكتب نيويورك بعد نفي المغفور له محمد الخامس في 20 غشت 1953 من أجل أن يكون للقضية الوطنية مكان في جدول أعمال مجلس الأمن، وفعلا اشتغلنا ليل نهار من أجل تهييء ملف في الموضوع حظي بدعم خمس عشرة دولة، وقد وصل الحاج أحمد بلافريج إلى نيويورك في 29 غشت 1953 تاريخ اجتماع مجلس الأمن ليتابع الجلسة كعضو الوفد الباكستاني، وهو ما أثار اعتراض رئيس الوفد الفرنسي هنري هوبنو الذي طالب بانسحاب بلافريج من القاعة، لكن هذا الأخير يخرج من جيبه جواز سفر باكستاني يمكنه من متابعة الاجتماع، ولاتزال أصداء هذا الاجتماع عالقة بالذهن بالنظر إلى مستوى المندوبين وطبيعة النقاش، أتذكر شارك مالك (لبنان) وظفر الله خان (الباكستان) وقساربكين (الاتحاد السوفياتي) وأوروسيا (كولومبيا) وواد وورث (الولايات المتحدة الأمريكية) وتسيانغ (الصين). أورد كل هذه التفاصيل لأنبه إلى المستوى الذي كانت عليه منظمة الأمم المتحدة بالمقارنة مع مستواها الآن، ولأنبه كذلك إلى مستوى التعاون الدولي الذي لاتزال تشهد به محاضر الجلسات التاريخية التي كانت تحتضنها هذه المنظمة.

حيـن انتدبتنـي الجزائــر للحديـث باسمهـا

▫ أشـرت إلى عـملك بالولايات المتـحـدة على واجـهـة المغـرب العـربي وإلى بعض أسـمـاء حـركـات التـحـرر في كل من الجـزائر وتونس، ونود أن نعرف كـيف اشـتـغلت على هذه الواجـهـة من الناحية العملية؟

▪ كنت أشـتـغل -بالفـعل- بمكتب المغـرب، وفي نفس الوقت أدعم مـجـهـود إخواننا الجزائريين والتـونسـيين في النهـوض بقـضـيـة بلديهـم، أذكـر أنه في هذه الفـتـرة حل السي باهي الأدغم بالولايات المتحدة الأمـريكيـة بهـدف فـتح المكتب التـونسـي، وقـد تابعت معه عملية البحث عن اكتراء مقر لهذا المكتب كما حضرت معه عددا من الإجراءات، خاصة أن انجليزيته -آنذاك- كانت غير كافية، في هذا الإطار أستعيد أيضا اليوم الذي وصل فيه الحبيب بورقيبة إلى الولايات المتحدة، لقد استقبلته بالمطار ورافقته من هناك إلى القاعة

التي تحتضن دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد قال لي يومها مازحا «إنك أول سفير لتونس في الخارج»، وحين فتح المكتب الجزائري كانت لي اتصالات عديدة بمحمد اليزيد وعبد القادر الشندرلي ثم بالحسين آيت أحمد فيما بعد، وأذكر أن زوجة هذا الأخير كانت بالقاهرة وقد كلفت باتخاذ الإجراءات للبحث في إمكانية انتقالها إلى الولايات المتحدة، وفعلا تمكنا من توفير جواز السفر لها عن طريق السفارة المغربية والسفارة المصرية في لندن، لقد تطورت علاقتي بالجزائريين فيما بعد وأتذكر -هنا- تشريف الجزائر لي بانتدابي للحديث باسمها في المؤتمر السنوي السادس بباركلي بكاليفورنيا، فبعد حصول المغرب على الاستقلال كنت لا أزال أتابع دراستي الجامعية بانجلترا وأتحمل مسؤولية رئيس رابطة الطلاب العرب هناك فمكنتني هذه المهمة من الانتقال إلى باركلي بكاليفورنيا لأمثل الرابطة المذكورة في المؤتمر السنوي السادس، هنا فكر الإخوة الجزائريون في إرسال برقية يفوضون لي فيها الحديث في المؤتمر كناطق باسم جبهة التحرير الجزائرية، وقد كان تفويضا تاما بحيث لم يسلمني الأخوة في الجبهة أية كلمة أو توصية أو توجيه، بل تركوا لي المبادرة لاتخاذ الموقف المناسب، وفعلا تحدثت في المؤتمر

الذي انعقد بتاريخ 4 شتنبر 1957 كرئيس رابطة الطلاب العرب وممثل الجبهة وأثرت حرب الإبادة التي تشنها فرنسا ضد الجزائر. وقد كان إلى جانبي المهدي بنعبود الذي كان آنذاك سفيرا للمغرب بواشنطن. إنني أعتز بهذا التشريف وبأجواء الثقة وروح التعاون والأخوة التي كانت سائدة بيننا كعرب مغاربيين. فقد منحتني الظروف فرصة أن أعاشر وجوها ساهمت في تدعيم مساري التكويني ووضعت كل ثقتها في كشاب. فإذا كانت الأسماء التي مارست تأثيرها علي قبل سنة 1948 هي : الفقيه بلعربي العلوي، السيد المهدي الصقلي، القاضي الزموري، الحاج محمد بنجلون، عبد الرحمان اليوسفي (المسؤول عن خلية الاستقلال بليسي اليوطي)، فإن هناك أسماء أخرى أثرت علي بعد هذا التاريخ، أقصد المهدي بنعبود الذي كان يمنحني كل الوقت للإنصات إلي منذ كان سني عشرين سنة، لقد كان طبيبا أخصائيا في أمراض الجلد، وذا ثقافة واسعة تمزج بين آليات التفكير الفلسفي وخصائص التفكير العلمي كما كان يتحدث العربية والفرنسية والانجليزية في نفس الوقت، وقد توفق في الجمع بين عمله في مكتب المغرب وعمله كطبيب بأحد مستشفيات نيويورك، وهناك إلى جانب المهدي بنعبود

اسم عبد الرحمان بنعبد العالي الذي تواصلت المراسلة بيننا إلى حين وفاته سنة 1959 . أما الشخصيات العالمية التي أثرت في وشكلت بالنسبة لي أسلوبا خاصا في الحياة والتفكير فمن بينها « أدلي ستيفنسن » المندوب الدائم للولايات المتحدة في الأمم المتحدة الذي يحيي في باستمرار الذكرى التالية : حين كنت طالبا بجامعة كورنيل كان من بين أصدقائي في القسم ابن ميتشل الكاتب العام للحزب الديمقراطي بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد مكنني هذا الصديق من الاجتماع بأبيه الذي كان يرشح نفسه آنذاك لانتخابات الرئاسة الأمريكية وبأدلي ستيفنسن، وكانت النتيجة أن نجحت بمساعدة إخوتي في مكتب المغرب في إدراج مشاكل الاستعمار والقضية المغربية ضمن البرنامج الانتخابي للحزب الديمقراطي، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر أشير إلى أنني في تلك الفترة انخرطت ضمن اتحاد الديمقراطيين الشباب بولاية نيويورك وانتخبت فيه نائبا للرئيس، والأمر يتعلق -هنا- بصيغة من كل الصيغ التي كنا نستثمرها للتعريف بقضية بلادنا وللدفاع عنها.

أعود للتذكير بأسماء وذكريات : « كريشنا منون » من الهند، وقد لعب دورا هاما في الدفاع عن العالم الثالث وعن شرف آسيا

خاصة أمام النزاع الأمريكي مع كوريا، والحقيقة أن ممثلي القوى العظمى كانوا يخشون مثل هذا الرجل لنزاهته ونضاليته، هناك أيضا ظفر الله خان من الباكستان وأنديرا غاندي من الهند، وعبد السلام من الباكستان، وقد كان تأثيره علي أشبه بتأثير المهدي بنعبود، فهو أيضا يخلق الانسجام مابين الفيزياء والجانب الروحي، وهناك كذلك السوفياتي فيشنسكي والفرنسي برتراند دوجوفينيل والإيطالي أوريلي بيسي، وأذكر من الشخصيات العربية التي دافعت عن القضية المغربية وقضايا العرب والعالم الثالث : عمر لطفي (من مصر)، شارل مالك (من لبنان) وفاضل الجمالي (من العراق).

أستعيد كل هذه الأسماء المغربية والعربية والعالمية لأشيد بدور الأخلاق التي تعتبر شرطا أولا من شروط كل عمل نضالي. إن كل هؤلاء قد عنوا بالنسبة لي في تلك الفترة سلامة التفكير وروح النزاهة والتسامح والقناعة والإيمان. إن العمل النضالي الحقيقي بالنسبة لهم هو في نفس الوقت عمل فكري وصوفي.

لقائي بزعيم حرب الريف

□ في سنة 1954 تقرر مغادرة الولايات المتحدة الأمريكية باتجاه انجلترا لمتابعة دراستك العليا، لماذا اتخذت هذا القرار؟ وما هي الظروف التي أعددت فيها أطروحة الدكتوراه حول «الجامعة العربية»؟

■ كانت إقامتي بالولايات المتحدة الأمريكية من 1948 إلى 1954 غنية جدا، سواء على مستوى تعدد الفعاليات: الكيمياء والفيزياء، العلوم الاجتماعية والسياسية، أو على مستوى العمل الوطني من أجل استقلال المغرب والعمل على واجهة المغرب العربي وقضايا العالم الثالث، وكنت بالإضافة إلى ذلك عضوا في فريق لكرة القدم ومؤسسا للنادي الشرقي والجمعية المسلمين ورئيسا للمجلس العالمي للطلبة وعضو نادي «من أجل عالم واحد» وعضو هيئة تحرير «كونيل ديلي سان» التي تصدرها جامعتنا. هذا المسار توج بحصولي سنة 1954 على شهادة الإجازة في سن الواحدة والعشرين.

لكن سنة 1954 ستعرف نشوب الحرب الأمريكية مع كوريا وسيطلب مني، ومن جميع المهاجرين الذين يتوفرون على « الورقة الخضراء » أن يستعدوا للتجنيد . لكنني رفضت ذلك لسببين :

الأول : لتذكري لما حدث لي تلك الليلة بآزرو حيث قضيت ليلة رعب شامل بإحدى الثكنات . . في حضرة عدد من العساكر الفرنسيين .

الثاني : لنفوري من كل ماهو عسكري أو شبه عسكري ومن كل ماهو عنف، مع تقديري الكبير للجنود الذين يدافعون عن بلادهم . إن الحلول العسكرية تبقى -في تقديري- تعبيرا عن تخلف فكري . ثم هناك من العوامل رفضي لارتداء البذلة مهما كان نوعها ورفضي لأية وظيفة تفرض علي بذلة ما لأن في مثل هذا اللباس مسا بجزء مهم من حريتي، والقبول بالبذلة يعني القبول بما يلحق ذلك، فالبذلة مجرد رمز . لهذه الأسباب قررت إنهاء إقامتي بالولايات المتحدة الأمريكية، فتقدمت بطلب إلى جامعة لندن لمتابعة دراستي في الاقتصاد والعلوم السياسية، وكان رد الجامعة إيجابيا، فسافرت إلى لندن حيث كان علي أن أشرع في التحضير لأطروحة الدكتوراه حول موضوع « الجامعة العربية ». في سنة 1955 حصلت على منحة من

مؤسسة روكفلر مكنتني من السفر إلى الشرق لمدة ثلاثة أشهر التقيت فيها بعدد من المسؤولين عن الجامعة العربية وبمفكرين وإعلاميين وبطلبة مغاربة يتابعون دروسهم في هذا البلد أو ذاك. وقد جاء هذا السفر مباشرة بعد انتهاء مؤتمر باندونغ. في مصر مثلا التقيت بعدد من الطلبة من بينهم السي عبد الكريم غلاب، الدكتور السعداني، عبد القادر الصحراوي وآخرون، كما كانت لي فرصة الالتقاء بشخصيات هامة من بينها الزعيم عبد الكريم الخطابي وأخوه السي محمد، وقد تحدثنا في موضوع بحثي. تصوروا أهمية هذه المناسبة بالنسبة لشاب في سن الثانية والعشرين تمكنه الظروف من مجالسة زعيم لحركة تحرير ورمز لمحاربة الاستعمار، تصوروا نفس الشاب يتاح له أن يسلم على رجل في قيمة المغفور له محمد الخامس وذلك بعد عودته من المنفى، إن من كانت له مثل هذه اللقاءات يصعب عليه أن يتعامل مع الاستعمار بغير الطريقة النضالية التي أتعامل معه بها اليوم. تعرفت أيضا على رواد الحركة القومية العربية، بحيث تمكنت من الالتقاء بالكاتب والمفكر ساطع الحصري الذي كان يرأس مركزا للدراسات بالجامعة العربية وهناك أطلعني هذا المفكر على أرشيف منظمته بما فيها محاضر النقاش الذي احتضنته

الاسكندرية في أفق التحضير لإعداد ميثاق الجامعة العربية، وقد كنت أول الباحثين الذين تمكنوا من الإطلاع على هذه الوثائق مما أعطى قيمة لأطروحتي. بعد القاهرة زرت بغداد حيث التقيت بعدد من المسؤولين في ميدان تخصصي وبطلبة مغاربة أذكر من بينهم السي محمد لحلو والسي محمد رشد والسي محمد التلاوي وأسماء كثيرة كانت تتابع دراستها الثانوية بالعاصمة العراقية، أما الطلبة المغاربة في الجامعة، فكانوا قليلي العدد. زرت سوريا كذلك وكانت آنذاك تلعب دورا هاما في الميدان الفكري وفيما يتعلق بالوحدة العربية، كما زرت لبنان حيث تعرفت على قسطنطين زريق رئيس الجامعة الأمريكية آنذاك وعلى ميشيل عفلق أحد المفكرين الذين دافعوا عن القومية العربية، وزرت بعد ذلك الأردن كما تمكنت من زيارة القدس حين كانت عربية ولم أعد إليها منذ ذلك الوقت ولا أنوي زيارتها إلا إذا أصبحت عربية، علما أنها ستظل عربية في فكري ووجداني، وحتى إذا لم يتحقق هذا الرجاء، فأنا أعيشه كواقع لأن الأمر يتعلق بمسألة قناعة وكرامة واحترام للنفس، كما أن الأمر لايتعلق فقط بمسألة فلسطينية بل بمسألة إنسانية. أعود مرة أخرى لتأكيد أن الفترة التي قضيتها قد مكنتني –أنا ابن الثانية والعشرين–

من مجالسة ومحاورة رجال من مستوى عال، ولا أتصور اليوم أن شابا في مثل هذا العمر قد يلقى من الإمكانيات والمساعدات حتى 10٪ مما كنا نلقاه نحن، وهذه من مفارقات التاريخ، إذ في الوقت الذي كانت فيه الإمكانيات قليلة وصعوبات الاتصال معقدة، كنا نحقق مثل هذه الأشياء، أما اليوم فقد تعقّدت الأمور أكثر رغم تطور الاتصال وغنى المعلومات والإمكانيات. وأعتقد أنه مهما حصل من تطور المعارف والاتصال، فلا يمكن أن ينوب ذلك عن أهمية الاتصال الشخصي والحميمي، فأن تقرأ عن الخطابي أو تطلع على كتاباته، فلا علاقة لذلك بمجالسته ومناقشته ومساءلته في هذه القضية أو تلك.

أول أستاذ مغربي بكلية الحقوق

◘ ألم يحل تركيزك على إنجاز شهادة الدكتوراه دون مواصلة انشغالك بالوضع في المغرب وبالقضية المغربية داخل هيئة الأمم المتحدة؟

■ بعد رحلة الشرق عدت إلى لندن لأتابع الإعداد لرسالة الدكتوراه، وكان علي أن أعيش لحظة أخرى أكثر تأثيرا في حياتي، ذلك أن الفرنسيين اضطروا إلى التراجع عن قرارهم في الاستمرار في نفي جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، نتيجة ضغط المناخ الدولي وخاصة داخل أوساط الأمم المتحدة، ونتيجة صدى مؤتمر «باندونغ» وتأثيره على الرأي العالمي وبتفاعل مع ما يحدث داخل المغرب بالطبع. هنا قدر لي أن أعيش الظرف التاريخي لعودة الملك وأفراد عائلته بمن فيهم ولي العهد الأمير مولاي الحسن، فقد استقبلنا المغفور له محمد الخامس بـ«سان جرمان أونلي» مع بقية الطلبة

المغاربة المتواجدين آنذاك بفرنسا، أو القادمين إليها من دول أخرى، كما قدر لي أيضا أن أتابع تنقل الموكب الملكي إلى مدينة تطوان، وهي الرحلة التي شكلت واحدا من المنعطفات في تاريخ المغرب. في سنة 1956 تم لنا الاستقلال وأنا لا أزال في لندن، فاتصل بي الحاج أحمد بلافريج ليطلب مني الالتحاق بالمغرب للعمل في وزارة الخارجية، لكنني طلبت أن يمهلني لأتمكن من إنهاء أطروحتي فأنا مطوق بتحقيق رجاء الوالد رحمه الله في استكمال تكويني الجامعي. لم يتقبل اعتذاري ببساطة، وبعد أقل من سنة توصلت برسالة من مولاي أحمد العراقي الذي كان يشغل منصب رئيس قسم العلاقات والمنظمات الدولية بوزارة الخارجية، وقد جاء في هذه الرسالة «إذا لم تكن تريد الالتحاق بنا الآن، فإن منظمة الأمم المتحدة ستشرع هذا الصيف في إعداد برنامج خاص بالطلبة الداخليين لأول مرة تمكنهم من خلاله من الاطلاع على عمل هذه المنظمة الدولية وتمهدهم بالخبرة اللازمة في هذا المجال، وقد طلبت منا المنظمة -تقول رسالة مولاي أحمد العراقي- أن نوافيها بطلب في الموضوع». وقد أرسل الطلب -فعلا- بتاريخ 25 يوليوز 1957، وبمقتضاه سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأحصل على شهادة أول خريجي المنظمة الأممية، وفي دجنبر من نفس السنة عدت إلى

المغرب لأشتغل أستاذا بكلية الحقوق التي كانت قد فتحت أبوابها في هذا الوقت، ومرة أخرى يطلب مني الحاج أحمد بلافريج أن ألتحق بوزارة الخارجية، لكنني قلت له بالحرف «لقد تلقيت تكويني لأمارس مهنة التعليم»، وأذكر أن السيد «فو» عميد الكلية آنذاك قد استغرب «لماذا لاتذهب إلى الخارجية، ففي التعليم لن تحصل سوى على راتب بمقدار ستين أو سبعين ألف سنتيم، وهو قدر غير كاف، خاصة أنك حاصل على شهادة الدكتوراه وتتقن عددا من اللغات؟».

ورغم ذلك التحقت بكلية الحقوق كأول أستاذ مغربي وهي نفس المؤسسة التي أعمل فيها منذ ذلك الوقت إلى اليوم. في 14 يوليوز، أي بعد انتهاء الموسم الدراسي (1957/1958) انطلقت الثورة في العراق وكان المغرب آنذاك عضوا في مجلس الأمن، فاتصل بي الحاج بلافريج ليقول لي «أنت الآن في عطلة ولم يعد لك أي مبرر للاعتذار، ستسافر إلى نيويورك فنحن محتاجون إلى شخص له خبرة في قضايا العالم العربي وقد سبق أن حضرت شهادتك عن الجامعة العربية كما سبق أن تلقيت تكوينا لدى الأمم المتحدة».

سافرت إلى نيويورك واشتغلت مع السيد عبد اللطيف الفيلالي كقائمين بأعمال البعثة المغربية لدى الأمم المتحدة. وحين حل شهر شتنبر طلبوا مني أن أستمر في البقاء هناك لأن دورة الجمعية العامة

ستنعقد قريبا، استجبت لهذه الرغبة وبعثت بتلكس لمولاي أحمد العراقي ولباقي المسؤولين أطلب منهم السماح لي بالعودة إلى دروسي بكلية الحقوق، لكنني بقيت هناك إلى أن توصلت في فبراير من سنة 1959 بتلكس من مولاي عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الشؤون الخارجية آنذاك، يطلب مني أن أدخل إلى المغرب للاستشارة، فأجبته «أنا مستعد للدخول لكن بماذا يتعلق الأمر حتى أعد الملفات اللازمة؟».

وفي اليوم الرابع توصلت بتلكس جديد يقول لي «عُدْ حقائبك وادخل بصفة نهائية». وصلت إلى المغرب في لحظة الأزمة السياسية التي كانت قد نشبت حول الصيغة التي ينبغي أن تكون عليها الحكومة، سألت مولاي عبد الله إبراهيم «ماموضوع التلكس؟» فاجابني «لا علم لي بالأمر. استعد، فجلالة الملك سيستقبلك»، زرت السي عبد الرحيم بوعبيد الذي كان نائبا لرئيس الحكومة وكانت تربطني معه علاقة حميمية، فأدركت أن لاعلم له بالموضوع، ونفس الشيء بالنسبة لمحمد الغزاوي الذي كان يشغل منصبا في الأمن. حين استقبلني جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، خاطبني بالقول «نعتمد عليك وعلى تجربتك، ونعينك مديرا للإذاعة خلفا للسيد قاسم الزهيري».

المهدي مديرا عاما للإذاعة والتلفزة

◻ ماهو السياق العام الذي توليت فيه منصب مدير للإذاعة المغربية؟ وماذا يعني بالنسبة إليك الرهان على شاب (26 سنة) لإدارة مؤسسة بهذا الحجم وفي مثل ذلك الظرف التاريخي؟

■ حين عيَّنني جلالة الملك محمد الخامس قال لي رحمه الله «ناديت عليك للحضور، أولا لأنك غير منتم ولأنك تتمتع باستقلالية الفكر وثانيا لأنك تابعت دروسك في انجلترا، فالمطلوب هو تحضير القانون الأساسي للإذاعة انطلاقا من نموذج إذاعة البيبسي»، لقد جاء تعييني خلفا للسي قاسم الزهيري الصحفي والكاتب في إطار تغييرات سياسية عرفها المغرب آنذاك، هكذا وفي أقل من ثلاثة أشهر على تولي هذه المهمة تحقق لنا شيء أفتخر به وأتألم له الآن، ذلك أنني هيأت مشروع ظهير حظي بموافقة جلالة الملك والحكومة، ينص على احتكار الدولة للبث الإذاعي والتلفزيوني

في المغرب، وبمجرد صدور الظهير لم يعد في إمكان عدد من المحطات الجهوية كإذاعة درسة في تطوان وإذاعة طنجة الدولية أن تواصل الإرسال، ولاأزال أحتفظ بما نشرته الصحافة الأمريكية في تلك الفترة وخاصة جريدة نيويورك تايمز التي نبهت إلى أن «الدولة في المغرب قد وضعت يدها على أجهزة الإعلام»، بل الأكثر من هذا أننا وقعنا في 30 أبريل 1960 اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية تنص على أن تعود كل أجهزة وأراضي إذاعة صوت أمريكا بطنجة إلى المغرب في ظرف ثلاث سنوات، ولم يكفنا ذلك إذ قلت لـ«يوست» سفير الولايات المتحدة بأننا نشترط – في انتظار أن تعود هذه الإذاعة للمغرب –أن تخصصوا لنا ثلاث ساعات لإرسال البرامج العادية وساعتين حرتين، الأولى خصصناها لصوت الجزائر والثانية لصوت الصحراء، تصوروا أهمية هذه الخطوة بحيث تمكنا من تسخير جهاز إعلامي ذي إمكانيات ضخمة لخدمة قضايانا... فالجزائريون كانوا يرسلون برامجهم يوميا عن طريق «صوت أمريكا» بدون أن تتعرض هذه البرامج للمنع أو المراقبة، وها هي نيويورك تايمز (يضع أمامنا نسخة من هذه الجريدة بتاريخ 5 ماي 1960) تنقل احتجاج فرنسا على الصيغة التي تم بها توظيف «صوت أمريكا»

بطنجة لفائدة صوت الجزائر وصوت الصحراء، كما تقدم فكرة عن الاتفاقية المبرمة ما بين الولايات المتحدة والمغرب في هذا المجال بحيث تشير إلى أن المغرب يستفيد بموجب هذه الاتفاقية من ثمانين ساعة من الإرسال في الأسبوع على أمواج إذاعة طنجة الدولية، واستمر عملنا على هذا النحو إلى أن اشترينا فيما بعد إذاعة طنجة وإذاعة درسة. في هذا الوقت أيضا أثيرت مشكلة تلفزة «لاتيلما» التي كان الفرنسيون قد أنشأوها كشركة خاصة، لكن بعد نفي المغفور له محمد الخامس، قاطع المغاربة هذه القناة التي لم يعد بإمكانها استئناف العمل، أجهزة الإرسال بطريق مركش رهن الإشارة والأستديوهات جاهزة لكن المغاربة مقاطعون. حين توليت مهمة إدارة الإذاعة كان المخطط الثلاثي قد نص على شراء «لاتيلما» بمبلغ 600 مليون سنتيم، لذلك طلبت من السي عبد الرزاق برادة رئيس المهندسين بالقسم التقني بالإذاعة وأحد كبار الخبراء –الآن– في جنيف، أن يضع لي تقديرا بخصوص شركة «لاتليما» : كم يلزم لتفكيك الآلات وللتأمين عليها ولنقلها لأقرب مكان في اسبانيا لتعيد مباشرة الإرسال، فوجدنا أن ذلك يتطلب قرابة 300 مليون أو شيئا من هذا القبيل، قلت مع نفسي : ليس بإمكان الفرنسيين استعمال

هذه القناة، بالمغرب، لأن في ذلك خرقا للقانون وليس في إمكانهم -كذلك- نقلها إلى مكان آخر، ومن ثم كان قراري برفض التوقيع على شراء «لاتليما» بمبلغ 600 مليون سنتيم.

وبعد عشرين يوما تقريبا زارني بمكتبي ممثلون عن الشركة المذكورة يطلبون مني التفاهم معهم حول الموضوع، لكن دون فائدة.

وتدخل مسؤولون كبار يطلبون مني التوقيع على وثيقة الشراء، إلا أنني تمسكت بموقفي الرافض. في يوم ما دخل إلى مكتبي شخص أجنبي ذو مكانة هامة ولا حاجة لذكر اسمه الآن وقال لي «ستوافق على مبلغ 600 مليون سنتيم. وغدا سيكون في حوزتك بسويسرا مبلغ 300 مليون سنتيم». لم أتمالك أعصابي وناديت على الشاوش بوشعيب وقلت له «أخرج هذا الكلب»، كيف أقبل هذه الرشوة وقد سبق أن نبهتني تربيتي الأولى لخطورة مثل هذه الآفة؟ ألم أنجز عرضا عن ظاهرة «ماك ريكرس» التي تعني في الولايات المتحدة مذهب استئصال الفساد ومحاربة الرشوة وعمري آنذاك لم يتجاوز الست عشرة سنة؟! المهم أن تفاصيل هذا الموضوع متشعبة، ومجمل القول إننا لم نشتر «لاتليما» في الأخير سوى بمائة مليون فقط.

تأسيس الجوق الوطني برئاسة أحمد البيضاوي

□ ماهي الخطوات الأخرى التي أنجزها المغرب وأنت على رأس الإذاعة المغربية بعد أن صدر الظهير الذي يعطي للدولة حق احتكار الفضاء الإعلامي وبعد شراء تلفزة «تليما»؟

■ حين توليت هذه المسؤولية وجدت أن المغرب عضو في ما يسمى بالاتحاد الأوربي للإذاعات والتلفزات، وفي أحد الاجتماعات التي انعقدت بلشبونة وكان يرأسها مدير «البيبيسي» كان إلى جانبي السي عبد الرزاق برادة المهندس الرئيسي للإذاعة، فخاطبت رئيس الاتحاد: «ليست لنا نية في أن يبقى المغرب عضوا في هذه المنظمة، فعليكم باستبدال الصفة (الاتحاد الأوربي) حتى تنسجم مع وجودنا في هذا الإطار، أو تبتكروا صيغة ما لوجود إذاعات تنتمي إلى العالم غير الأوربي، وإذا رفضتم ذلك فسننسحب ونخلق لأنفسنا اتحادا إذاعيا خاصا بإفريقيا»، التفت إلي مدير البيبيسي بهالته وخاطبني

بصوته الجهوي «هل تعتقد أن فكرة خلق اتحاد جديد أمر بسيط!؟ حظ سعيد إذن»، وأحسست لحظتها بأن حديثه إلي كان مشوبا بنبرة من السخرية. عدت إلى المغرب لأزور مباشرة مولاي عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية وأطلب منه السماح لمصالح الخارجية بالترخيص لي بالمراسلات مع الخارج في القضايا التي تهم الشأن الإذاعي تحديدا. أذن لي بذلك، فشرعت في الاتصال مع كل الإذاعات الإفريقية إلى أن تحقق لنا في نهاية ماي من سنة 1960 بالرباط تأسيس الاتحاد الإفريقي للإذاعات الوطنية، وهو أول منظمة حكومية إفريقية تأسست بعد الإستقلال.

لقد اجتزت التحدي بنجاح، والحقيقة أنه لولا ثقة عبد الله إبراهيم لما تسنى لي ذلك، فلقد كان هناك تشجيع لروح المبادرة.

ومن الخطوات الأخرى أنني وجدت أن الإذاعة -في تلك الفترة- تتوفر على جوق سمفوني فرنسي يتكون من خمسين فردا ويتقاضون راتبا لايخطر على بال، كما أن وضعهم الإداري مضبوط من الناحية القانونية، ووجدت إلى جانبهم أحمد البيضاوي وعبد القادر الراشدي ومولاي أحمد الوكيلي والتمسماني برواتب هزيلة، وحين ناقشت الأمر مع مصالح المالية قيل لي بأن هناك مشكل ضرورة

مراعاة الترتيب الإداري والمالي مع الدبلومات المتوفر عليها.

في ذلك الوقت، حررت رسالة سلمتها لأعضاء الجوق السمفوني أعطيهم فيها مهلة ثلاثة أشهر لمغادرة الإذاعة. لايمكن تصور الضجة التي خلفها هذا القرار، لامن الأوساط الفرنسية، فهذه لم تكن في حاجة لأن تتحرك، بل من مسؤولين كبار أخذوا يرددون : «كيف يطرد هؤلاء؟ وكيف سيكون المغرب بدون جوق سمفوني؟ ...» لكنني كنت أجيبهم دائما «هذا قراري ولن أتراجع عنه» وكونت لجنة من المغاربة يرأسها المرحوم أحمد البيضاوي، وشرعنا في ترتيب الموسقيين المغاربة وفق الترتيب الذي كان يحظى به أعضاء الجوق السمفوني، وحين وصلنا إلى مهمة رئيس الجوق قلت للبيضاوي «أنت من سيتولى هذه المسؤولية»، والحقيقة أنه في مدة أربع وعشرين ساعة فقط، صار أحمد البيضاوي يتقاضى ضعف ما أتقاضاه كمدير عام للإذاعة. من هنا تكونت علاقتي الطيبة مع الموسيقيين المغاربة، إلا أنني بالمقابل، منعت على أعضاء الجوق أن يشاركوا في الأعراس أو المحلات الخاصة، وهددتهم بالطرد النهائي، وقد عمدت لذلك حتى يتمتع أعضاء الجوق الإذاعي بالهيبة داخل الوسط الفني والإذاعي ويسمح لموسيقيين آخرين بالعمل في الأعراس

لتدبير معيشهم اليومي.

نفس الشيء قمت به فيما يتعلق بالنشاط المسرحي داخل الإذاعة التي كانت تتوفر على فرقة مسرحية يرأسها «باسكال كوبو» ابن كوبو، أحد كبار مسرحيي فرنسا، باسكال هذا قضى عشرين سنة في المغرب وأدار بالإذاعة فرقة مسرحية حققت شهرة -في الواقع- حتى في فرنسا. حررت رسالة -مرة أخرى- أخبر فيها أعضاء هذه الفرقة بضرورة مغادرة الإذاعة في ظرف ثلاثة أشهر، والتفت نحو الكفاءات المغربية، حيث اتصلت بعبد الله شقرون وبالطيب الصديقي وبالمرحوم عبد الصمد الكنفاوي الذي اعتمدت عليه كثيرا في هذا الإطار وبآخرين، وتم إنشاء الفرقة الوطنية للإذاعة المغربية.

الاستقالـــة

◻ ما الذي جعل مهمتك على رأس الإذاعة والتلفزة المغربية تنتهي في ظرف وجيز ؟

■ انتهت مهمتي لسببين : الأول فني بحيث وجدت أن من غير الممكن أن أحصل على اتفاق سياسي من طرف الحكومة على بعض التغييرات الجذرية التي كنت أسعى إلى إدخالها على القانون الأساسي للإذاعة، بما فيها مبدأ الاستقلالية التامة لهذه المؤسسة.

السبب الثاني يعود إلى الظروف العامة التي كانت عليها حكومة عبد الله إبراهيم، والواقع أنني سعيت خلال مدة مسؤوليتي إلى ألا أتدخل في أمور السياسة إلا إذا تعلق الأمر بما يعني الغيرة على الوطن والبلاد. لقد عينني المغفور له محمد الخامس بهدف خلق القانون الأساسي للإذاعة من خلال نموذج البيبيسي وسعيت نحو ذلك واتخذت كلمة جلالة الملك نبراسا أتحرك على أساسه، كما كان لي مع بعض أعضاء الحكومة نوع من التضامن الفكري القائم على أساس

شخصي لا على أساس حزبي، وكنت أناقشهم في عدد من القضايا، لكن من الناحية العملية، تحدث من حين لآخر بعض المشاكل التي كان من الضروري علي أن أتخذ فيها موقفا واضحا، ذلك أنني كنت أجتمع بالصحافيين قبل نشرة الأخبار التي كانت تذاع في الساعة الواحدة بعد الزوال لنضبط ترتيب الأحداث ونتفق على أولوية هذا الخبر أو ذاك وفق ما يقتضيه العمل الصحفي. كنا نسير على هذا النهج وبعد مرور الأسبوع الأول على تحمل مسؤولية الإذاعة، أخبرني الصحافيون أن المرحوم المهدي بن بركة قد ألقى كلمة في المجلس الاستشاري سيتم نشرها كاملة في نشرة الأخبار، وحين لاحظوا استغرابي، قالوا لي بأنهم تعودوا على إدراج خطب المسؤولين كاملة في النشرة فأجبتهم بضرورة أن يختاروا من خطبة المهدي دقيقتين أو ثلاث ليدرجوها ضمن النشرة على أساس إبلاغ المستمعين ببث الكلمة في الساعة الثانية بعد الزوال. غادرت الإذاعة في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة، لكن بمجرد وصولي إلى البيت، تحدث إلي المرحوم عبد الرحيم بوعبيد: «المهدي ماذا فعلت؟ لماذا هذه المشاكل؟ مرّ علي في المكتب في الساعة الثالثة بعد الزوال»، بعد ذلك كلمني السي ناصر بلعربي مدير ديوان عبد الله إبراهيم ليلح

علي في الاتصال بمكتب عبد الرحيم بوعبيد، وقد اتصلت به فعلا وحاولت إقناعه بتصوري للعمل الإذاعي، فيما بعد تفهم المهدي بن بركة نفسه حسن نيتي وتكونت فيما بيننا علاقة وطيدة. الغريب أن الشخصيات التي أصطدم معها في البداية هي التي تصير في ما بعد أقرب إليّ. بعد خمسة عشر أو عشرين يوما، زار محمد الخامس، رحمه الله، إحدى المناطق، حيث ألقى كلمة بالمناسبة دامت عشرين دقيقة، وحين حل موعد الأخبار، قلت لطاقم النشرة « تصرفوا إزاء كلمة جلالة الملك مثلما فعلتم مع كلمة المهدي، اختاروا دقيقتين أو ثلاث للنشرة على أن تعيدوا إذاعة الخطبة الملكية كاملة في الساعة الثانية بعد الزوال »، وأذكر أن أحدهم بالديوان الملكي قد اغتنم هذا الأمر ليوقع بي، لكنني في الغد أوضحت المسألة لجلالة الملك قلت له « ما قمت به فيه فائدة من الناحية البيداغوجية التربوية أما الخطاب فسيذاع كاملا في الساعة الثانية » نظر إليّ، رحمه الله، دون أن أعلم إن كان مقتنعا بفكرتي أم لا، ما علمته بالضبط هو أنه كان يتحدث إليّ كأب وكان يتفهم حسن نيتي.

كان رمضان قد انتهى بأيام معدودة، ضبطت جهاز الراديو فاستمعت إلى نشرة الأخبار تبث بلاغا عن الديوان الملكي يتضمن

إشارة إلى استقبال جلالة الملك لي كمدير للإذاعة، وإلى تهنئتي على البرامج التي قدمتها هذه الإذاعة خلال شهر رمضان. سعدت بالخبر الذي لم أكن أنتظره، فمعلوم أن بلاغات الديوان الملكي تذاع مباشرة وبدون أن تكون في حاجة إلى تأشيرة مسؤول التحرير أو مدير الإذاعة، سعدت -فعلا- بتنويه جلالة الملك الذي هو تنويه لي ولجميع العاملين بالإذاعة. ومن ثم أحسست أن محمد الخامس قد تفهم تصوري وحسن نيتي وهو ما عنى بالنسبة لي سندا يُفتخر به، وهو ما عنى -أيضا- ضرورة أن يبقى الإنسان ملتزما بأفكاره، فهناك -دون شك- من سيتفهمه ويساعده على بلوغ مراده وهو نفس النهج الذي تبنيته في جميع أنشطتي بما فيها عملي على الصعيد الدولي. إن تحملي مسؤولية الإذاعة ولو في وقت قصير قد علمني أشياء عديدة من خلال علاقاتي بالمسؤولين أو الصحافيين أو الموسيقيين ورجال المسرح، وأعتبر أن عملي بالإذاعة من أهم المدارس التي أفادتني خاصة في المجال الذي يتعلق بالاتصال، وهو الاهتمام الذي انشغلت به منذ نهاية الخمسينات وبداية الستينات. ومع ذلك، فالسببان الفني والسياسي اللذان أشرت إليهما في الصدارة دفعاني إلى أن أقدم استقالتي إلى جلالة الملك وقد تفهمها، رحمه الله، فغادرت دار الإذاعة.

أتألم لخرق القانون

□ أشرت -وأنت تتحدث عن صدور الظهير الذي يعطي للدولة حق احتكار الفضاء الإعلامي- إلى أن هناك أشياء تفتخر بتحققها لكنك تتألم بشأنها الآن، ما مصدر الألم؟

■ أقصد أننا كنا منذ أكثر من ثلاثين سنة نعمل من أجل تزكية ذلك الاستقلال على المستوى التقني والقانوني والحضاري والثقافي، وفي هذا الإطار جاء تأسيس الاتحاد الإفريقي للإذاعات والتلفزات وشراء تلفزة لا تليما وإنشاء القانون الأساسي للإذاعة وتكوين الجوق المغربي الموسيقي والجوق المغربي المسرحي، وهو نفس الإطار الذي صدر فيه ظهير ماي 1959 الذي يعطي للدولة حق احتكار أمواج البث الإذاعي والتلفزي، لكن الألم نابع مما ألاحظه اليوم من الخرق الذي تمارسه كل من القناة الثانية «دوزيم» وقناة «ميدي 1». أنا أستاذ في كلية القانون وأعلم طلبتي احترام القانون لذلك أقول إن إرسال هاتين القناتين خرق واضح للقانون بقطع النظر عن محتوى برامجهما

وعن السياسة الاستعمارية التي تنهجانها والتي تحطم حضارتنا وتمس يوميا بمقدساتنا، ولو كانت عندي الوسائل لرفعت ضدهما دعوى قضائية لأن لاحق لهما في الإرسال مادام ظهير ماي 1959 قائما، ولأجل ذلك لايمكن لي أن أسمح لدوزيم أن تلج بيتي فهي اليوم أكثر استعمارية من راديو طنجة الدولية في ذلك الوقت. إن المغاربة قد جاهدوا بأرواحهم من أجل استقلال بلادهم، وقد تحقق لنا شكليا على الأقل هذا الاستقلال والحمد لله، ومع ذلك مازلنا نلاحظ حضور ما أسميه بما بعد الاستعمار، فعلى عكس مرحلة شبه الاستعمار الذي يعني أن يبقى للدول المستعمرة وجود ما فإن ما بعد الاستعمار الذي بدأ بعد حرب الخليج في بداية التسعينات يتخذ طابعا حضاريا وثقافيا. في الأسابيع الماضية استدعيت للمشاركة في ندوة بمناسبة يوم 11 يناير ذكرى تقديم وثيقة الاستقلال فكان رد فعلي قويا بعض الشيء ربما ولكنه واضح، لقد قلت لمنظمي الندوة «حين يستقل المغرب حقيقة سأشارك أو أساهم في ندوة خاصة باستقلال المغرب»، إن العالم مستعمر بأسره حضاريا وثقافيا، وما أقوله عن المغرب قاله الخبير الفرنسي ألان مينك عن بلده فرنسا، فهو يردد أن الحضارة الفرنسية والذاكرة الجماعية لبلده في خطر إذا لم

يتم إدخال الوسائل الجديدة لتأطير التراث الفرنسي، أي ترقيم هذا التراث بمعنى أن تؤخذ المعلومات وتوضع لها أرقام ليعالجها الحاسوب، إنه يصرح بذلك في عدد لوموند بتاريخ 13 يناير 1996 الماضي بحيث يقول بأن الفرنسيين لم تعد لهم السلطة حتى على تراثهم الفرنسي. بحيث إذا أراد شخص ما معلومات عن بونابارت أو ميتران أو عن أي شخصية أخرى فسيكون بوسعه ذلك عن طريق الانتريت. إذا كان هذا هو تصريح خبير فرنسي عن تراث بلاده ماذا سنقول نحن الذين يمثل الجانب الحضاري والثقافي آخر صرح لنا في خضم تطور المعرفة والمعلومات وصخب التغيرات التي يعرفها عصرنا، وهو الصرح الذي علينا أن نحميه باستمرار لأنه يعني حماية قيمنا ومكونات حضارتنا فأشياء كثيرة قد تغيرت، مفهوم الدولة الأمة الذي كنا ندرسه لطلبتنا والذي يعني بأن هناك دولة لها دستور ولها حكومة ولها سياسة خارجية ولها جيش إلخ... هذه الدولة قد انتهت، وعلينا أن نتساءل عن مفهوم الدولة بالنظر للثورة المعلوماتية وللتحدي الحضاري والإعلامي الذي نعيشه اليوم، وهذه أمور غير جديدة، ففي سنة 1976 كانت كندا قد انتبهت لأهمية الإعلام والاتصال وقالت بضرورة إنجاز دراسة عن نظام عالمي للإعلام والتنمية

فتأسست لهذه الغاية لجنة ترأسها مدير منظمة التنمية الاقتصادية وشغلت أنا منصب نائب الرئيس فقمت بدراسة شاملة لإقرار نظام خاص بالعلاقة بين الإعلام والاتصال والتنمية. وهناك دول عديدة قد سارت وفق هذا التصور. والحقيقة أنني حاولت أن أطور مجال الإعلام وكان هناك أشخاص آخرون لهم أيضا تصورات ومشاريع لكن لاحظنا غياب سياسة واستراتيجية في هذا المجال. والواقع أن تخطيط سياسة في ميدان الإعلام والاتصال يتطلب تنسيقا وتكاملا بين عدة عناصر وشروط.

شباب الأمس وشباب اليوم

□ حين نتأمل مسارك الفكري والمهني ومسار أسماء أخرى من نفس جيلك نجد أنك تحملت مسؤوليات هامة وطنية ودولية وأنت دون الثلاثين، وهو نفس سن بعض الموقعين على وثيقة الاستقلال أو المفاوضين المغاربة بايكس ليبان، وهو كذلك سن عبد الكريم الخطابي حين قاد واحدة من أكبر الثورات الشعبية في المنتصف الأول لهذا القرن. حدث هذا في الماضي أما اليوم فنجد أن جيلا من الكهول ومن الشيوخ أحيانا هو الذي يدير مسؤوليات هامة ويشرف على مناصب عليا. لماذا تراجع دور الشباب اليوم وصودر حقه في أن يكون في صدارة المشهد. هل لضعف في القدرات المعرفية أو العلمية؟ أم لوجود معضلة في مكان ما؟

■ هذا السؤال في محله وقد سبق لي -مرارا- أن طرحته على نفسي. إنني حين أقارن وضعية الجيل الذي أنتمي إليه مع وضعية جيل الشباب اليوم أجد أن هناك فروقا كثيرة، من بينها أنني كنت

أشعر -وأنا شاب- أن جميع الذين تعاملوا معي من الكبار كانوا يحسون بنوع من الافتخار كلما تمكنت من إنجاز خطوة جيدة في مساري التكويني أو المهني، لقد كانوا يشجعون مبادرتي ويفتحون لي آفاقا رحبة للتفكير والعمل لأنهم كانوا يعتبرون أن نجاحي في هذه الخطوة أو تلك هو نجاح شخصي لهم أو لأبنائهم.

نفس الشيء بالنسبة لي فأنا -أيضا- كنت أسعى للابتكار في عملي لأنني أريد لنجاحي أن يكون مكسبا للجميع. الأمور مختلفة اليوم، فلم يعد هناك من يقوم بدور «المعلم»، أقصد الدور البيداغوجي والأدبي الذي يكمن أن يرشد هذا الشاب ويساعده على تذييل الصعوبات.

مفهوم «المعلم» لايعني أي نزوع رجعي تقليدي، بل يعني -على العكس من ذلك- نوعا من الرعاية التي يكون الشاب في حاجة إليها، ونوعا من انتقال الخبرة والمعرفة من جيل لآخر على أساس أن يستمر الشاب في الخلق والابتكار. إن على كل شخص أن يتساءل إن كان هو نفسه يلعب هذا الدور البيداغوجي، عليه أن يتساءل باستمرار : كم ساعدت من الأشخاص؟ وهل كنت في مستوى ما ينتظره الآخرون مني؟ والواقع أن هذه بعض الأسئلة التي

ينبغي أن يفكر فيها الإنسان، ومن جهتي فأنا أحاول أن أستحضرها كل يوم، لا تتصوروا سعادتي حين يتقدم أحد طلبتي لمناقشة شهادة الدكتوراه ، إنني أعيش اللحظة بكل تفاصيلها تماما كما لو كان المهدي المنجرة هو الذي سيجتاز هذا الامتحان، ومن الأشياء التي أعتز بإنجازها وأنا على رأس الإذاعة هو إرسالي لجماعة صغيرة من الصحافيين إلى الخارج قصد الاستفادة من تداريب مهنية في هذا البلد أو ذاك، ولقد سعدت كثيرا بعودتهم من هذه التداريب بمعارف جديدة وأذكر أنه كان من بين هؤلاء الصحافيين السي العربي المساري، لقد كنت أنظر إلى تلك الجماعة كما أنظر الآن إلى ابنتيَّ سليمة وكنزة، وهي نفس النظرة التي كانت تنظر بها إلي الشخصيات التي تساعدني في الداخل وفي الخارج، وحين أستعيد أسماء هذه الشخصيات من وزراء وأساتذة وأعضاء وفود دولية أجد أن هؤلاء سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا أو بوذيين يلتقون حول عدد من النقط المشتركة وفي مقدمتها نزاهة الفكر والخلق وثقة النفس وراحة الضمير. إن افتقاد الشباب اليوم إلى مساندين ومساعدين ظاهرة لاتهم المغرب وحده بل المجتمع الدولي بكامله. وذلك لأن هناك تغيرا عميقا في القيم. من قبل لم يكن العنصر

المادي يلعب سوى دور بسيط جدا، أما اليوم فالمرء صار خائفا من كل شيء، من افتقاد شغله أو بيته وصار للعنصر المادي دور كبير في الحياة، وأعتقد أن هذا واحد من العناصر السلبية التي أتت بها الحضارة الغربية، فقد قضت هذه العناصر على الغرب وتقضي علينا نحن لأننا نسير وفق تقليد اعمى، بل إننا متأخرون حتى في التقليد. وللأمر -بكل تاكيد- علاقة بالإشكالية الحضارية أحد عناوين هذا العصر وتحدياته.

بداية المسار الدولي في اليونسكو

◻ ماهو السياق الذي تم فيه انتقالك من العمل في الإذاعة المغربية إلى العمل على صعيد المنظمات الدولية، وعلى صعيد منظمة اليونسكو بشكل خاص ؟

■ قبل أن ألتحق باليونسكو كنت أشارك ضمن الوفد المغربي في عدد من المنتديات الدولية ولا أترك المناسبات تمر دون أن يحضر المغرب بشكل فعال. في سنة 1958، ناضلت أثناء أشغال الدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة بشكل لا يتصور من أجل إقناع مندوبي الوفود بقبول ملتمس ينص على «ترابط الاقتصادي بالاجتماعي»، ولا أزال أذكر ردود أفعال بعض المندوبين، ومن بينهم بشكل خاص يوجد مندوبا الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي اللذان أخذا يتساءلان باستغراب عن العلاقة مابين الاقتصادي والاجتماعي ... وبعد جدل واقتناع، نجحت في أن أجعل

الجمعية العامة تقبل الملتمس الذي قدمته بيدي.

في سنة 1959 شاركت ضمن الوفد المغربي مرة أخرى في اجتماع أديس أبيبا الذي عرف تأسيس اللجنة الاقتصادية الإفريقية، وأذكر من الأسماء المغربية التي كانت حاضرة ضمن الوفد المغربي السيدين إدريس السلاوي وأحمد بنكيران.

في هذا الاجتماع، تدخلت مرة ثانية لأدافع عن أطروحتي، وقد سبق لفليب دوسين، الكاتب العام المساعد للأمم المتحدة والمسؤول عن الشؤون الاقتصادية والاجتماعية أن كلفني مع اسمين آخرين بوضع الوثائق الأساسية لهذه اللجنة (اللجنة الاقتصادية الإفريقية) أما الاسمان اللذان شاركاني هذا العمل فهما مكي عباس من السودان، وقد أصبح فيما بعد أول رئيس للجنة الاقتصادية الإفريقية، وغردينير من غانا الذي تولى مسؤولية نائب الرئيس.

وفعلا، هيأنا كل الوثائق المطلوبة، وأثناء الإجتماع، دافعت بشكل مستميت عن الصيغة التي تضمنها القانون الأساسي للجنة، والذي يربط بين الاقتصادي والاجتماعي. في سنة 1960 وقبل تاريخ استقالتي من الإذاعة، كنت قد شاركت مع الوفد المغربي في أشغال الأمم المتحدة، وتدخلت في اللجنة الثالثة التي كانت تهتم بالمواثيق

الخاصة بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية فانتبه إليّ السيد روني ماهو الذي كان آنذاك مدير مكتب اليونسكو بنيويورك ثم أصبح في ما بعد مديرا عاما لهذه المنظمة. ماهو رجل يعطف على المغرب وعلى العالم الثالث، وهو خريج المدرسة العليا بفرنسا، وقد سبق له أن كان أستاذا بكوليج مولاي إدريس، كما سبق أن شغل -في مرحلة ما- مهمة الملحق الثقافي لشارل دوغول، قلت انتبه إليّ روني ماهو في الوقت الذي كانت فيه اليونسكو تأمل في أن تبرز أكثر ارتباط القضايا الاجتماعية بالاقتصاد والتنمية. في ذلك الوقت قال لي ماهو بأن المؤتمر العام لليونسكو على وشك الانعقاد وبأنه سيسعد بالتحاقي بهذه المنظمة لكن من شروط الالتحاق في منظمة حكومية هاته أن تتوفر لي تزكية من الحكومة المغربية، وذاك ما حصل فعلا، بحيث قدم السي عبد الكريم بنجلون وزير التعليم آنذاك اسمي كعضو الوفد المغربي لليونسكو سنة 1960 بدون استشارة الخارجية، بل اعتبر الأمر مسؤولية على عاتقه، هكذا التحقت بجلسة المؤتمر العام وفيها تم التفكير في إنشاء لجنة يكون من مهامها إقرار برنامج خاص بإفريقيا في مجالات العلم والتربية والثقافية، وتكونت اللجنة التي انتخبني أعضاؤها رئيسا. بعد انتهاء المؤتمر، كلفني روني ماهو الذي أصبح

مديرا عاما مساعدا لليونسكو بإنشاء قسم إفريقيا بهذه المنظمة، وعينني رئيسا له ما دمت قد ترأست أثناء جلسات المؤتمر العام لجنة البرنامج الخاص بإفريقيا في مجالات العلم والتربية والثقافة.

بعد خمسة عشر يوما، انطلقت الاحتجاجات من وزارة الشؤون الخارجية ومن السفارة المغربية : كيف دخل المهدي المنجرة اليونسكو؟ كيف أصبح رئيسا لقسم إفريقيا؟ وما هي القنوات التي خطاها نحو هذا المنصب؟

الانتقال من الجماليات إلى التكنولوجيا بدون تأشيرات

□ما الذي أضافه إلى خبرتك العمل داخل منظمة اليونسكو؟ وما هي الصورة التي تترسب الآن لديك عن روني ماهو الموظف الدولي والإنسان؟

■ دخلت اليونسكو على أساس القسم الإفريقي إذن، وكان عليَّ كرئيس لهذا القسم أن أطور التصورات التي بلورناها داخل المؤتمر العام حول برنامج إفريقيا في مجالات العلم والتربية والثقافة. في سنة 1962، عين روني ماهو مديرا عاما لليونسكو، وبعد مرور ثلاثة أشهر على هذا التعيين، عينني المدير العام مديرا لديوانه، وهو ما أثار ضجة في الأوساط الأممية التي أخذت تتساءل : كيف يمكن لشخص من العالم الثالث أن يشغل منصب مدير ديوان في واحدة من أهم المنظمات الدولية؟ وهنا أعود -مرة أخرى- للإشادة بروني ماهو، فهو يعطف على المغرب والعالم الثالث، كما سبق أن أشرت إلى ذلك

وهو -أيضا- رجل أدب وفن، فإليه يعود الفضل في اهتمامي بالجماليات وبالفنون التشكيلية، وأول ما طلبه مني أن أقرأ كتابات «أندري مالرو» وأن أواصل اهتمامي بالشعر، كما كان يعمل على مستوى الإدارة والتسيير بقدر كبير من الضبط والمنهجية، وكان كذلك صديقا كبيرا لذاك هامرشيولد الأمين العام للأمم المتحدة الذي اغتيل سنة 1960 . أذكر أنني زرت هامرشيولد رفقة روني ماهو بمقره بعمارة الأمم المتحدة، فلاحظت أن مكتبه كان زاخرا بعدد من اللوحات التشكيلية المعاصرة، كما لاحظت لديه اهتماما كبيرا بالأدب، وقد أصدر كتابا خاصا بالشعر. إنني أتحدث عن ماهو وهامرشيولد بتقدير خاص، فهما معا ينتميان إلى ذلك الصنف من الرجال الذين يزاوجون ما بين الاهتمام بالفن والأدب والإهتماما بالعلم والتكنولوجيا، هذا الصنف ينتقل في حديثه -بيسر كبير وبانسجام تام- من القصائد واللوحات التشكيلية إلى قضايا المناطق القاحلة والماء والتكوين المهني والإحصائيات ... لقد أثر في هذا المناخ بشكل عميق، بحيث أصبحت أنتقل من مجال إلى آخر بدون الحاجة إلى تأشيرة، هكذا كنت أفكر، فالانتقال من قراءة كتاب لمالرو قد تتلوه وبدون صعوبة قراءة كتاب عن الجغرافية أو الكيمياء. أشيد

-أيضا- بروني ماهو لأنه وضع ثقته كاملة في. وبالعودة إلى طبيعة عملي في اليونسكو، أشير إلى أن المدير العام لم ينس دفاعي في الجمعية العامة للأمم المتحدة عن ترابط الاقتصادي بالاجتماعي، لذلك أسند إليّ مديرية قطاع العلوم الاجتماعية الإنسانية والثقافة وألحق به قسم الفلسفة. ولتتصوروا الصعوبة التي وجدناها في إقناع العاملين بالترابط الحاصل ما بين قطاعات المعرفة، لقد كنت ألاحظ استغراب البعض حين يتساءل : ما علاقة السوسيولوجيا بالتشكيل؟ كيف لفيلسوف أن يجالس رجل أدب أو اقتصاد؟

إنني أعتبر عملي باليونسكو مدرسة حقيقية، وقد ساعدني الحظ في التعرف على عدد كبير من الشخصيات والأفكار، وهذا الحظ هو الذي جعلني أتقلد كموظف دولي -من حين لآخر- مناصب لم يسبق أحد أن تحمل المسؤولية فيها، لقد كنت أول من ترأس القسم الإفريقي باليونسكو، وكنت أول من أدار ديوان المدير العام، وأول من أشرف على أشغال المديرية العامة لقطاع العلوم الاجتماعية الانسانية والثقافية. وحين أنهيت ما طلب مني من مسؤوليات ومهام واعترف المجلس التنفيذي والمؤتمر العام بنجاح تجربتي داخل هذه المنظمة، زرت روني ماهو سنة 1970، وقلت له آن الوقت لأعود لوظيفتي كأستاذ

جامعي، فهناك منصب شاغر ينتظرني بكلية العلوم الاقتصادية بلندن التي تلقيت بها تكويني الجامعي»، استجاب لرغبتي فتهيأت للسفر إلى العاصمة البريطانية لأدرس هناك بإحدى أكبر كليات الاقتصاد في العالم.

الإعلاميات ... في النظام الأممي

□ ماهي الآفاق المعرفية التي فتحتها أمامك مهمة أستاذ بجامعة لندن، هذه المؤسسة التي سبق أن منحتك في نهاية الخمسينات شهادة الدكتوراه حول موضوع الجامعة العربية؟

■ تفهم السيد روني ماهو الأمين العام لمنظمة اليونسكو رغبتي في السفر إلى لندن بحثا عن مصادر أخرى للمعرفة والخبرة، فالتحقت بمعهد الدراسات الاقتصادية بجامعة لندن سنة 1970 لأعمل هناك كأستاذ محاضر وباحث في الدراسات الدولية. هكذا وبمجرد ما التحقت بهذه الجامعة عرضت على المسؤولين فكرة إعداد دراسات تحاول أن تدمج البحث العلمي الجديد وخاصة النموذج الرياضي في العلاقات الدولية، وانطلاقا من تبني البحث الإجرائي نظمت مناظرة على امتداد سنة بكاملها تستقطب أسماء من مجالات الإعلاميات والرياضيات والعلاقات الدراسية، وهنا تسنى لي -فعلا-

استثمار الخبرة التي تهيأت لي أثناء عملي في المنتديات الدولية وفي اليونسكو بشكل رئيسي، كما استثمرت مبدأ التكامل المعرفي الذي عشته في المدرسة الثانوية «باتني» وفي جامعة «كورنيل» بالولايات المتحدة الأمريكية وكذا من خلال علاقاتي بروني ماهو. في هذه الفترة صدر لي بلندن ونيويورك كتاب بالانجليزية بعنوان «نظام الأمم المتحدة» صار مقررا في البرامج الدراسية لعدد من الجامعات الأمريكية. وقد حاولت في هذا الكتاب أن أدرس مكونات المنظمات الدولية والمبادئ والمفاهيم التي تعتمد في هذه المنظمة أو تلك انطلاقا من البحث الإجرائي والنموذج الرياضي. في الفترة كذلك لم أترك المناسبة تمر دون أن أتتبع دروسا في الإعلاميات وأستفيد من تدريب في هذا المجال بأحد المعاهد العليا في نواحي لندن. وحين انتهى الموسم الدراسي لجامعة لندن اتصل بي المدير العام لليونسكو من جديد ليعرب لي عن رغبته في إنشاء قسم جديد بالمنظمة خاص بالبرمجة على الأمد الطويل والمستقبليات، وأذكر أن الإطار العام لهذه الفكرة كان مرتبطا آنذاك بانتشار أفكار غاستون بيرجي وبيرتراند دوجفنيل وعدد من رواد الدراسات المتعلقة بالرؤية والدراسات المستقبلية. في هذا السياق أنشأ روني ماهو مديرية عامة

في سنة 1971 وأسند لي مهمة نائب المدير العام على أساس أن أنجز تخطيطا للست السنوات القادمة، وأذكر أنه شجعني على العمل في هذا المشروع مانحا إياي كل الحرية المطلوبة في البحث والتفكير. قبلت الفكرة ووجدت نفسي وحيدا أمام مجال جديد وكانت الثقة التامة للسيد ماهو هي سندي الرئيسي.

بدأت العمل بتشغيل ستة من المتدربين باليونسكو وأخذنا نبحث صباح مساء إلى أن أكملنا الدراسة المستقبلية المطلوبة منا. وقد كان عملي هذا أول نافذة حقيقية على الدراسات المستقبلية. وحدث أنه في نفس الفترة ستتطور خبرتي في مجال الإعلاميات ذلك أنني تلقيت طلبا من منظمة الأمم المتحدة يعرض علي أن أنجز بحثا عن الصياغة التي يتم من خلالها إدخال الإعلاميات في النظام الأممي، وقد أنجزت فعلا هذه الدراسة موظفا كل الخبرات التي تجمعت لدي من خلال عملي في المجالات الأممية أو من خلال اشتغالي في جامعة لندن وكذا باستفادة من التدريب الذي أجريته بأحد المعاهد البريطانية، ثم هنا أيضا الدراسة التي أنجزتها عن نظام الأمم المتحدة. والواقع أنه قدر لي منذ ربع قرن أن أهتم بمجال الإعلاميات والحاسوب في الوقت الذي كانت مفاهيم ومبادئ هذا المجال تثير استغراب بعض

الأشخاص عندنا هنا في المغرب أو في دول العالم الثالث، وأشهد أنه لولا الثقة التي شملني بها المدير العام لليونسكو لما تمكنت من أن أكون في كل هذه المواقع المعرفية الدولية. وهنا أيضا أعود إلى مسألة النزاهة والقيم الخلقية في ما يهم علاقة الشباب بمن هم أكبر سنا.

هذه العلاقة التي لايمكن أن تكون مخصبة ما لم يثق الكبير في الشاب ويثق الشاب في من يكبره سنا وخبرة. وهذا بالضبط ما ميز علاقتي بروني ماهو.

التنميــة هــي العلــم
حـين يصبـح ثقافــة

◻ كان عملك في مديرية البرمجة والمستقبليات باليونسكو هو نافذتك على عالم الدراسة المستقبلية، ثم في ما بعد تحملت مسؤوليات داخل منظمات دولية تعنى بهذا الشأن. ماذا عن هذه التجربة الجديدة في مسارك العام؟

■ اشتغلت بمديرية التخطيط والدراسات التوقيعية إلى حدود سنة 1974 وخلال سنتي 1976/1975 توليت مهمة المستشار الخاص للمدير العام لليونسكو، وفي تلك الفترة كان قد تأسس الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية الذي انتخبني مؤتمره الثاني ببولونيا رئيسا له لفترة امتدت من سنة 1976 إلى سنة 1981، والواقع أن هذه التجربة قد مكنتني من علاقات جديدة ومن مراجع ووثائق على قدر كبير من الأهمية. في سنة 1982 تأسست بباريس منظمة جديدة باسم «الجمعية العالمية للمستقبليين» وانتخبتني

رئيسا لها مع أنني لم أكن حاضرا في مؤتمر التأسيس، ومن ثم استمر عملي المستقبلي داخل هذه المنظمة إلى حدود سنة 1990، وهو عمل تطوعي بدون مقابل سوى تقوية جبهة المجتمع المدني.

□ لماذا انسحبت من منظمة لتتجه إلى أخرى لها نفس التخصص؟ وما الاختلاف بين المنظمتين على مستوى التوجه العام؟

■ يختلف التصور بين الاثنتين، فالأولى ذات توجه أنكلو ساكسوني يتضمن نوعا من البراغماتية والتخطيط والمنهجية فيما يتسم توجه الثانية بطابع فلسفي يركز على المقاصد، وعلى محاولة الإجابة عن سؤال «لماذا؟». أما لماذا انسحبت من منظمة واتجهت لأخرى فذلك يعود لاختيار شخصي، إنني حين أتأمل المناصب والمسؤوليات التي تحملتها -منذ بداية مساري العملي والمهني- أجد أنني لا أستمر في منصب ما أكثر من ثلاث سنوات وبعدها أنسحب بحثا عن أفق معرفي ومهني آخر، وأعتقد أن ثلاث سنوات كافية: الأولى لتعلم مكونات المنصب الجديد، السنة الثانية لترجمة المعرفة إلى أعمال وتصورات وتخطيطات والسنة الثالثة للتنفيذ، وأكون -بعد ذلك- معتزا بأن أترك المجال لوجوه ودماء جديدة. مهمة

واحدة لازمتني طوال مساري الفكري والمهني هي العمل كأستاذ محاضر بكلية الحقوق بالرباط. وذلك منذ موسم (1957/1958) إلى اليوم.

□ كان روني ماهو (المدير العام لليونسكو) يعتبر دائما «أن التنمية هي العلم حين يصبح ثقافة»، ما الذي يعنيه بهذه القولة؟ وكيف وجد هذا النوع من التفكير طريقه إلى تأملاتك وأبحاثك الفكرية والمستقبلية؟

■ وردت هذه الفكرة في محاضرة ألقاها ماهو بمعهد الدراسات الاقتصادية بباريس في بداية الستينات، وقد شكلت -في الواقع- جوهر كتاباتي وتحليلاتي في ما بعد. إن التنمية بدون تأطير ثقافي لاتعتبر تنمية والعلم إذا ظل صرفا دون أن يشكل جزءا من الفعل الثقافي يصبح آليا، ومن ثم فكل مسار تنموي رهين بمدى إدماج العلم في الثقافة التي هي المحدد الأساسي لقيم وهوية الأفراد والجماعات، أشياء كثيرة قابلة للإستعارة من الآخرين إلا المكون الثقافي، فهو وحده الذي يميز هذا الفرد أو هذه الحضارة عن الآخرين. وحول هذه النقطة بالذات تقوم -حاليا- الحرب الحضارية التي تميز مرحلة ما بعد الاستعمار والتي تستهدف -بالأساس-

السيطرة على العالم. لقد قرأت في عدد لوموند دبلوماتيك لشهر يناير الماضي مقالا لكاتب من الأوروغواي ينبه إلى طبيعة الاحتكار السائد للإعلام والصور والمعلومات في خطة كبرى لامتلاك الدول وإخضاعها للسيطرة. وما يقوم به المغرب من مجهود كبير لإقرار القيم اليهودية والمسيحية هو خطة مدروسة بشكل متقن، لكن الشيء الجديد هو أن المقاومة في مرحلة الاستعمار كانت تتجلى في كل الفعاليات الانسانية بما فيها النشاط الرياضي أو الموسيقي، أما اليوم فقد صرنا نلاحظ وجود تعاون من لدن عناصر يشغلون مناصب كبرى في دول العالم الثالث وهو ما ينبغي الانتباه إليه. إن التركيز على أن تكون «التنمية هي العلم حين يصبح ثقافة» يعني -أيضا- مبدأ التعدد الحضاري الذي أدافع عنه باستمرار، وهو ما يعني مصلحة الحضارة الانسانية جمعاء. وللأسف فإن السياسين في العالم الثالث لم يولوا بعد الأهمية الكافية للمرجع الثقافي والحضاري، ولم يستحضروه في مشاريع وبرامج بلدانهم. الأمر الذي يجعل هذا العالم (الثالث) أمام مشاكل تنموية حقيقية.

نحن والغرب ... والزمن الآتي

□ ما الذي تعنيه بالقول إن دفاعك عن المسألة الحضارية، هو في نفس الوقت دفاع عن حق كل الحضارات في الوجود؟

■ أعتقد أنني حين أندد بظاهرة الاستعمار الحضاري أكون داخل قرارة نفسي أدافع حتى عن الحضارة الغربية بما فيها المكونات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها. ذلك أن ميزان القوى العالمي في الأربعين أو الخمسين سنة القادمة سيضع العنصر الغربي اليهودي المسيحي داخل المتحف، وأنا لا أتحدث في ذلك انطلاقا من فراغ. لقد كان وزن الاقتصاد الأمريكي داخل الاقتصاد العالمي لسنة 1985 يمثل أكثر من الثلث، أما اليوم فقد نزلت هذه النسبة إلى 27٪، واستنادا إلى التقارير التي قدمتها بواشنطن إحدى أكبر شركات التوقع في العالم للبنك منذ شهرين فإن وزن الاقتصاد الأمريكي سيصل في سنة 2010 إلى ما يمثل 17٪ فقط من الاقتصاد العالمي، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تتدنى نسبة اقتصادها من الثلث إلى

17٪ في ظرف ثلاثين سنة نجد أن فرنسا لن تصبح هي الأخرى في سنة 2010 عضوا بمجموعة 7، ونفس الأمر بالنسبة لكندا والمملكة المتحدة وإيطاليا.

وإذن لو كانت كل هذه الدول تعرف أين توجد مصلحتها بالضبط لاختارت طريقا آخر غير هذا الذي تخطوه اليوم، وذلك هو الواقع الذي لا تتردد شخصيات كثيرة في التنبيه إليه، ومن ضمنها وزير الدفاع الفرنسي الذي قال ما يفيد إنه يجب أن ننتبه إلى الوضع، فعددنا يقل في حين يزداد العالم الإسلامي وكذا العالم الأسيوي. إن قدر هذه الدول هو أن تتبنى نظرة مفتوحة تقوم -بالأساس- على التفاهم والتواصل الحضاريين، وذلك لتتمكن من أن تضمن المستقبل لأجيالها القادمة.

فالمواقف ستتطور في المستقبل وأوربا الغربية لن يعود في مستطاعها في ظرف الخمس سنوات القادمة أن تتحمل الهيمنة الأمريكية، وستضطر أرادت ذلك أم كرهته إلى التقارب مع روسيا في مواجهة الخطر الأمريكي، نفس الشيء بالنسبة لليابان وقد سبق أن أثرت ذلك سنة 1986 في الحوار الذي أجراه معي سرفان شرايبر للتلفزة اليابانية، فهذه الدولة لن تقبل استمرار الغزو الحضاري

الأمريكي الذي فشل في جنوب شرق آسيا بأجمعه، ومن أسباب الفشل أن دول المنطقة بما فيها اليابان والصين وتايوان وكوريا قد تغلبت على مشاكل الأمية نهائيا، كما تستعمل اللغة الوطنية في كل مجالات المعرفة، وسيتطور الموقف إذا تمكنت كل من اليابان وكوريا من التوصل إلى اتفاقيات مشتركة.

المسألة الحضارية في مصلحة العالم الثالث كذلك، فدول هذا العالم مدعوة إلى أن تعتني بشكل كاف برصيدها الحضاري المتوفر، فلا مستقبل بلا ماض، والأمر لاتناقض فيه، أحيانا يقال لي : «كيف تدافع عن المستقبل وتعود للكتب الصفراء؟» لكنني أرد على هذا القول بتأكيد أنني في حاجة إلى كتب صفراء وأخرى زرقاء أو حمراء لأغني مجال تفكيري ولأتمكن -حقيقة- من فهم الماضي والحاضر والمستقبل خاصة أنه لايوجد -هناك- أي مبرر لأن أقيد نفسي في هذا الإطار أو ذاك. إن العالم الثالث مدعو إلى فهم ماضيه الحضاري والانطلاق منه كما على المسيرين فيه أن يستحضروا الأبعاد الحقيقية للاستعمار الحضاري حتى يكون لبلدانهم مكان ما على الكرة الأرضية.

السفر تجديد للتفكير

□ لنقترب من حياتك العائلية قليلا، ماذا عن علاقتك بزوجتك السيدة أمينة المريني وبابنتيك سليمة وكنزة؟ وكيف تصرف وقتك اليومي بالبيت؟

■ أعرف أمينة منذ الصغر، فنحن ننتمي إلى نفس العائلة، أما تاريخ الزواج فيعود لسنة 1956 حين كنت أعد رسالتي الجامعية بكلية علوم الاقتصاد بلندن، آنذاك أحسست كطالب بضرورة الاستقرار فاخترت أمينة وكان عمرها في ذلك الوقت سبعة عشر عاما، وانتقلنا معا إلى لندن. والحقيقة أنني مدين بأشياء كثيرة لزوجتي، فقد وجدت فيها منذ ذلك الوقت إلى اليوم شريكا ساعدني كثيرا وطور ظروف حياتي الشخصية والمهنية والفكرية، إنني معترف بفضلها ومعتز بابنتي سليمة وكنزة : الأولى من مواليد سنة 1963، تابعت دروسها الجامعية في الاقتصاد ثم انتقلت إلى الهندسة المعمارية حيث أتمت دراستها بباريس، والواقع أن التكامل بين

الاقتصاد والهندسة المعمارية قد طورها كثيرا من عملها المهني بالرباط، أما كنزة فهي من مواليد سنة 1965 وقد أتمت دراستها الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، مارست التدريس في البداية بشعبة العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة مكسيكو ثم عادت مؤخرا إلى نيويورك لتتابع بجامعتها مهمة التدريس الجامعي إلى جانب الإسهام في الأبحاث والدراسات، وهي تكتب اليوم زاوية أسبوعية بواحدة من أكبر الجرائد في المكسيك. مجمل القول في ما يخص وضعي العائلي أنني محظوظ بوجود أمينة إلى جانبي... ومعتز بالدفء الذي تبعثه فيّ رؤية سليمة وكنزة وهما تشقان طريقهما في الحياة.

أما حياتي اليومية، فتتم على هذا الشكل : أستيقظ مبكرا وهذه عادة أحتفظ بها منذ أيام دراستي كطالب، لكن النهار لايبدأ بالنسبة لي إلا متأخرا، في التاسعة أو التاسعة والنصف صباحا، وإذا تعلق الأمر بدرس في الكلية أو بالمشاركة في ندوة أو مؤتمر، أكون جاهزا في الثامنة صباحا دون أن يسبب لي ذلك أدنى إزعاج. وفي الأيام العادية أذهب إلى مكتبي بكلية الحقوق لاستقبال الطلبة

والباحثين، وقد تعودت على العمل ليلا لأنني أحس بهدوء وراحة عميقين، ونادرا ما أنام قبل منتصف الليل.

□ وكيف تتعامل مع السفر الذي يشغل حيزا هاما من أوقاتك؟

■ لقد أحصيت طبيعة الأسفار التي قمت بها منذ سنة 1948 (تاريخ انتقالي إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة) إلى اليوم، فوجدت أنني سافرت إلى عدد كبير من الدول، وذلك ضمن مسافة تبلغ أربعة ملايين من الكيلومترات، وهو ما يعني أنني عشت وضعية السفر ستة آلاف يوم أي ما يعادل خمسة عشر عاما وهو ربع حياتي.

وضمن هذا العدد الكبير من الكيلومترات، سافرت بمعية زوجتي أمينة عشرين مرة زرنا خلالها القارات الثلاث : أمريكا وأوربا وإفريقيا. إن السفر يأخذ مني -بالفعل- وقتا طويلا لكنه كتاب مفتوح زاخر بالمعارف والعلاقات، إنه تجديد للتفكير وتغيير ورياضة، فالسفر يفرض عليّ أن أغير الطقس واللغة والعادات، وهذا أمر جد مفيد فالذكاء الإنساني يوزن بمدى قدرة الانسان على أن يتعامل بيسر مع التغيير... هذا التغيير الذي يجعل المسافر يعيش في الوقت الواحد حيوات متعددة.

لكنني اليوم، أحاول أن أقلل من أسفاري خاصة أنني قررت الامتناع عن زيارة عدد من الدول التي لاتحترم الحد الأدنى من الديمقراطية والحريات وحقوق الانسان، وهو امتناع خلقي وتأشيرة ذاتية، وأعتبر أن زيارة مثل هذه الدول ولو في الإطار العلمي الأكاديمي هي ضمنيا نوع من تزكية لوضعية خارقة لمبادئي فالذين سبقوني علموني أن أول شيء يجب على الانسان الانتباه إليه والوفاء له هو عدم السقوط في التناقض ما بين الأقوال والأعمال.

اليابان التي أحبها بعمق

□ سافرت كثيرا وشاهدت بلدانا متعددة ومختلفة، لكننا نود أن نسأل -الدكتور المنجرة- عن البلد الذي ترك في نفسك وفي تجربتك أثرا أساسيا ؟

■ اليابان بدون شك ... وقد زرته سنة 1968، السنة التي عرفت ثورة الشباب وشهدت تغييرات في عدد من بلدان المعمور، وهي -أيضا- السنة التي توليت فيها مسؤولية هامة جدا في اليونسكو بحيث عينت نائب المدير العام لقطاع العلوم الاجتماعية والانسانية والثقافة. العنصر الثالث الذي يجعل زيارتي لليابان ذات وقع خاص يتمثل في وصولي إليها في هذه السنة بهدف التهييء لندوة علمية بمدينتي طوكيو وكيوطو حول موضوع التواصل ما بين الحضارة الغربية والحضارة اليابانية في مجالات العلم والأدب والمعرفة عموما، وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لثورة الميجي باليابان سنة 1868. في هذا البلد تعرفت على عدد من الشخصيات الهامة، على الأديب

الياباني يوكيو ميشيما وعلى المعماري العظيم كنزوتانكي وغيرهما، وتحققت لي صداقات أخرى أثناء إشرافي على إعداد الكتاب المتضمن لأشغال هذه الندوة، والواقع أن اهتمامي بالحضارة اليابانية وبجهدها في التنمية والتطور يعود إلى ندوة التواصل الحضاري، وأشير -هنا- إلى أنه في اللحظة التي فكر فيها الامبراطور الياباني في إرسال بعثات طلابية إلى الغرب سنة 1868 فكر مولاي الحسن الأول في إرسال بعثة مماثلة إلى الشرق والغرب وهذا التقابل له أكثر من دلالة. أما سبب إشادتي بالحضارة اليابانية وبموضوع هويتها الثقافية فيعود إلى أنني ألاحظ وجود عنصرين هامين وراء نمو اليابان وتطوره: العنصر الأول يتمثل في نجاح هذا البلد في القضاء على الأمية مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين، والعنصر الثاني هو الإعلان المبكر -ضمن ثورة الميجي- عن برنامج الترجمة إلى اليابانية بخصوص كل مجالات المعرفة ومن جميع اللغات، وهو ما وفر لليابان رصيدا هاما من الأعمال الأدبية والعلمية والفنية غير اليابانية، والغريب أنه مع أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينات تبنت جامعة كولومبيا مشروع ترجمة الأدب الياباني بكامله إلى الانجليزية.

لهذه الأسباب كان لليابان تأثير خاص عليّ فقد عدت لزيارتها

مرارا ووثقت صلاتي بمفكريها كما أن الامبراطور الياباني قد شرفني بمنحي سنة 1986 «وسام الشمس المشرقة» اعترافا بخدماتي داخل اليونسكو وتقديرا للدور الذي أقوم به في ما يخص مسألة التواصل الحضاري.

□ مقابل هذا الانشغال بالحضارة اليابانية نلاحظ أن لك موقفا متوترا مع فرنسا...

■ أميِّز بين وجهين لفرنسا : الأول الذي يعني دولة الماضي والحاضر والمستقبل والأدب والعلم والفن، ويعني الثاني فرنسا ذات المصالح الاستعمارية، ومنذ صغري وأنا أعايش هذه المفارقة، مشكلتي ليست مع فرنسا النبيلة ذات الإسهام الحضاري الكبير، بل مع كل ماهو استعمار أو ماتبقى منه ضمن مرحلة ما أسميه بما بعد الاستعمار وخصوصا الاستعمار الحضاري حيث تسعى فرنسا لتذويب حضارات الآخرين وأصالتهم بوسائل ثقافية وحضارية، وها نحن نلاحظ كيف أن فرنسا تتعامل مع الدول الغربية بلغة، ومع دول العالم الثالث بلغة مختلفة تماما. ومع ذلك فأنا مدين بأشياء كثيرة لفرنسا ولثقافتها، وقد شرفتني هي الأخرى بعدد من الجوائز : جوائز كوزون للأدب الفرنسي سنة 1954، وسام للاداب والفنون من درجة

فـارس سنة 1969، الميدالية الفضية الكبرى للأكاديمية الفرنسية للهندسة المعمارية سنة 1984، وسام الاداب والفنون من درجة ضابط سنة 1985. بالإضافة إلى تحملي مسؤولية نائب رئيس المؤسسة الفرنسية للمستقبليات وكنت عضوا في لجنة التحكيم لجائزة جول فيرن للتلفزة من سنة 1990 إلى سنة 1993 واعتبر عضوا مؤسسا للجنة الفرنسية للإعلام السمعي -البصري.

الحلـم الإفريقـي

▫ ارتبطت -من جهة أخرى- بمشروع نهضة افريقيا وبمجمل الأفكار التي رافقت هذا المشـروع بدءا بفكرة الوحدة وانتهاء بمحاولات تحرير النسق الثقافي والتربوي بهذه القارة ماهي ملامح مسارك ضمن هذا الاتجاه؟

▪ أود أن أشير -في البداية- إلى معطيين يتعلقان بموضوع افريقيا : الأول يهم وضع العرب داخل هذه القارة فثلث التراب الافريقي تقطنه الدول الأعضاء في الجامعة العربية و80٪ من العرب هم أفارقة لأن العرب الأسيويين لايمثلون سوى نسبة الخمس من مجموع العرب . كما أن اللغة العربية هي أول لغة يُتكلم بها في افريقيا وتسبق بكثير لغات الهاوزا أو السواحلي، نضيف إلى ذلك أن اللغة الخامسة بهذه القارة هي الأمازيغية فسنجد أن العرب يمثلون من الناحية الحضارية والثقافية جزءا مهما في افريقيا، وهو ما ينبغي استحضاره باستمرار وأي إغفال له في التحليل لن يخدم سوى

الاستراتيجية العامة لمرحلة ما بعد الاستعمار، فلا ينبغي -نهائيا- أن نفكر في افريقيا كشيء خارج عنا. المعطى الثاني يتعلق بمسعى الاستعمار الدائم إلى أن يخلق مناطق توتر في هذه القارة ويغرس بذور التمزق، ولننظر كيف أنه جعل الصحراء -المفروض أنها من الناحية الجيولوجية والطبيعية نقطة جمع بين كل الأطراف- نقطة تشتيت بحديثه عن شمال الصحراء وجنوبه، وعن افريقيا البيضاء وافريقيا السوداء وعن شمال القارة وجنوبها وهي كلها مؤشرات لمنطق استعماري واضح.

أشير من جهة أخرى، إلى أن انشغالي بقضايا افريقيا يعود بالضبط إلى أيام دراستي بالولايات المتحدة الأمريكية وبانجلترا خصوصا فهناك نسجت اتصالاتي الأولى مع عدد من الطلبة الأفارقة إلى جانب الطلبة الأسيويين وأذكر أن الجميع كان منشغلا -آنذاك- بالقضية الاستعمارية، ففي الموسم الدراسي 1955/54 بلندن كان أحد النواب في البرلمان الانجليزي واسمه فينر بروكواي قد أسس مع جماعة من الطلاب حركة باسم «حركة التحرير من الاستعمار»، وهو الإطار الذي كان يسمح لنا بالاجتماع كل سبت، وفيه تعرفت على الزعيم النقابي الافريقي تامبويا من كينيا وعلى مورومبي من نفس

البلد وعلى طلبة آخرين من الجزائر وتونس وإن كان عدد طلبة المغرب العربي -في تلك الفترة- قليلا جدا. والطريف أن الكيني جوزيف مورومبي كان قد اشتغل بالسفارة المغربية بلندن كمساعد صحافي سنة 1956 أي مباشرة بعد استقلال المغرب، وحين استقل بلده تولى هناك منصب نائب رئيس الجمهورية الكينية. منذ ذلك التاريخ إذن ارتبطت بالموضوع الافريقي فقد تابعت اجتماعات المجموعة الافريقية بالأمم المتحدة سنة 1958 ولمست الحلم الكبير لبناء الوحدة الافريقية من خلال انعقاد أول مؤتمر للشعوب الافريقية باكرا في دجنبر 1958، وقد حضرته سبع دول وعدد من ممثلي حركات التحرر في الكاميرون والجزائر وغيرهما، وكان من الحاضرين أيضا باتريس لومومبا وفرانز فانون. ولقد كانت الوحدة الافريقية هي فعلا روح هذا المؤتمر، وللأسف فهذا الحلم لم يتحقق وإن كان لايزال يسكن عددا من الأذهان، في ما بعد وكما أشرت إلى ذلك سابقا فقد كان لي شرف تأسيس اللجنة الاقتصادية الافريقية سنة 1959 وشرف إنشاء الاتحاد الإفريقي للإذاعات والتلفزات سنة 1960 وترأست في 3 يناير 1961 قسم افريقيا باليونسكو، وبعد أسبوع من تولي هذا المنصب تناولت الغذاء بمطعم اليونسكو مع المهدي بنبركة الذي كان له اهتمام عميق

بمشاكل العالم الثالث وبمشاكل افريقيا خصوصا، والواقع أن المهدي كان بالنسبة لي -في الفترة ما بين يناير 1961 وتاريخ اختفائه -مصدرا للاستشارة وتبادل الرأي في عدد من المشاكل التقنية المحضة، وأذكر أنه كان في ذلك الوقت يأمل في إصدار مجلة خاصة بإفريقيا تعنى بالمشاكل التربوية ولي معه مراسلات في هذا المجال.

والواقع أن جميع رواد الحركة الوطنية كانوا يولون عناية كبرى لموضوع افريقيا وهنا لايمكن أن ننسى مبادرة المغرب بقيادة المغفور له محمد الخامس في احتضان مؤتمر الدارالبيضاء الذي حضره عدد من الدول التي كانت تنتمي إلى الصف اليساري التقدمي الافريقي. وكانت أول مسؤولية قمت بها وأنا على رأس قسم افريقيا باليونسكو هو الشروع في تهييء أول مؤتمر لوزراء التربية الأفارقة الذي قرر أن ينعقد بأديس أبيبا، وقد سمح لي هذا التهييء بأن أزور رفقة المدير العام المساعد أكي سيشيا (من الهند) ولمدة ستة أشهر ما يقرب من ثلاثين دولة افريقية، وقد كانت التربية أول ظاهرة ثقافية تحظى بقسط كبير من اهتمام قسم افريقيا، وانعقد المؤتمر فعلا فحدد له أهدافا تربوية في أفق الثمانينات وللأسف فهذه الأهداف لم تتحقق في المجال التربوي.



محمد النجرة (1925)



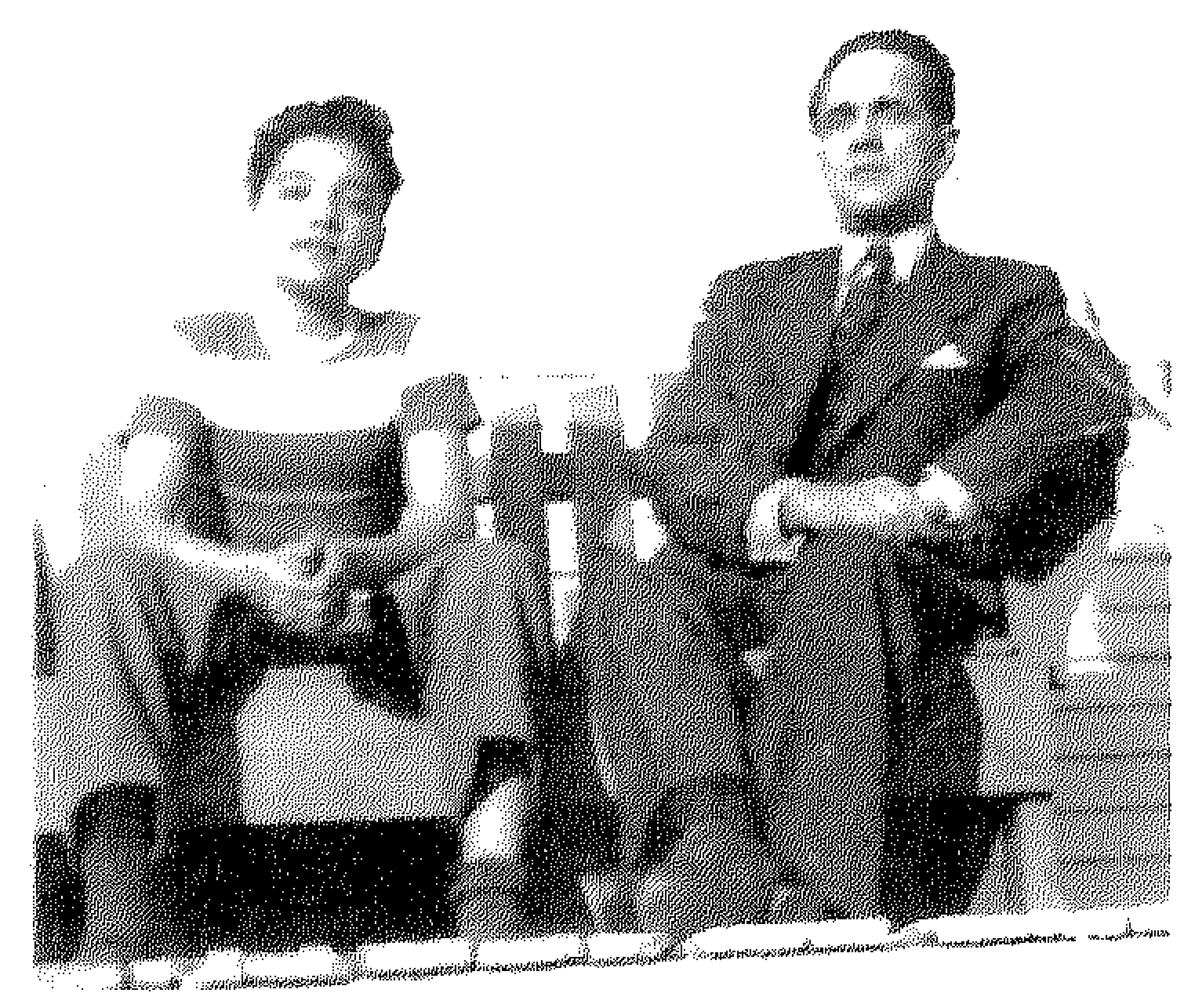
1935 : مع جده لأمه الحاج
محمد المريني بالرباط



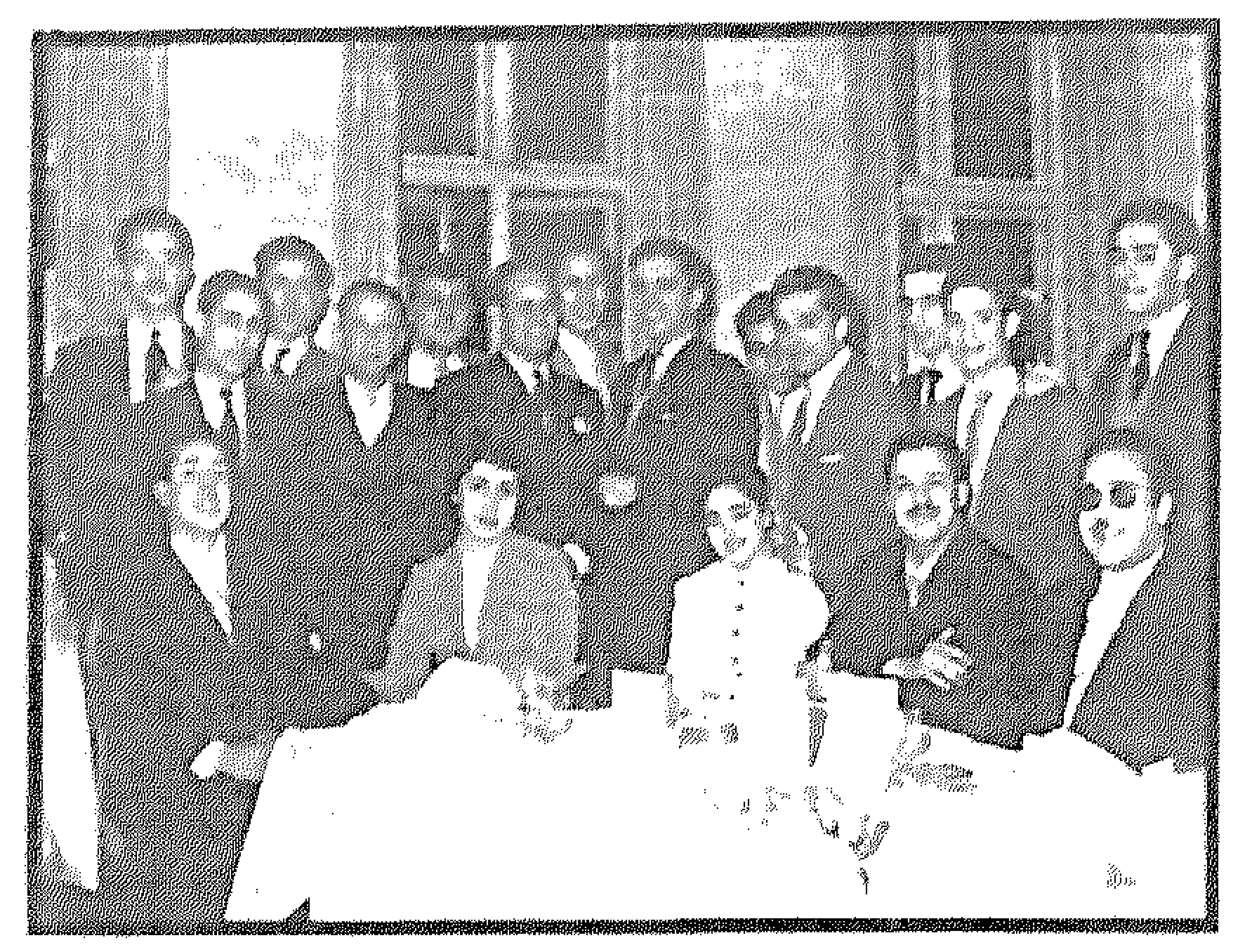
1936 : المهدي (3 سنوات) وشقيقه عمر
(7سنوات) مع المربية الفرنسية الآنسة لاروي



1939 : المهدي المنجرة في الدارالبيضاء



1948 : في ثانوية «باتني» بأمريكا مع والده



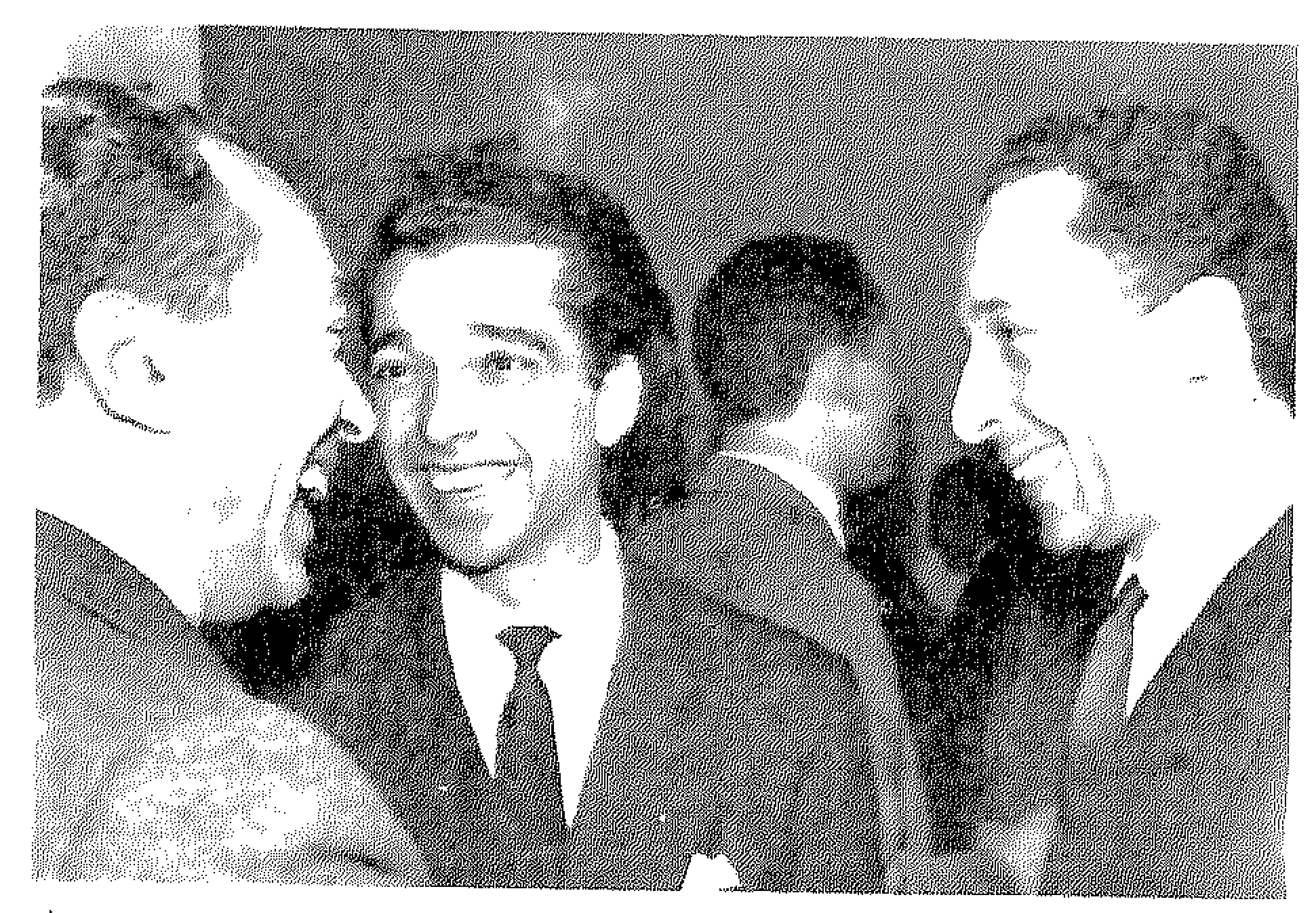
1956 : المهدي ضمن مجموعة من الطلاب المغاربة بلندن بصحبة
عبد الرحمان بنعبد العالي (وزير مفوض) في سفارة المغرب ببريطانيا



1957 : في الأمم المتحدة بنيويورك، المهدي
ضمن أول برنامج تكويني للداخليين



مارس 1958 : المهدي المنجرة في مكتبة كلية الحقوق بالرباط



1959 منجرة في تونس مع الشاذلي لقليبي مدير الإذاعة التونسية آنذاك ومحمد العلمي سفير المغرب بتونس



1959 : المهدي المنجرة (المدير العام للإذاعة والتلفزة) يستقبل الفنان يوسف وهبي أثناء زيارته للمغرب



1959 . المنجرة يتوسط الجوق الوطني بوجوهه المعروفة



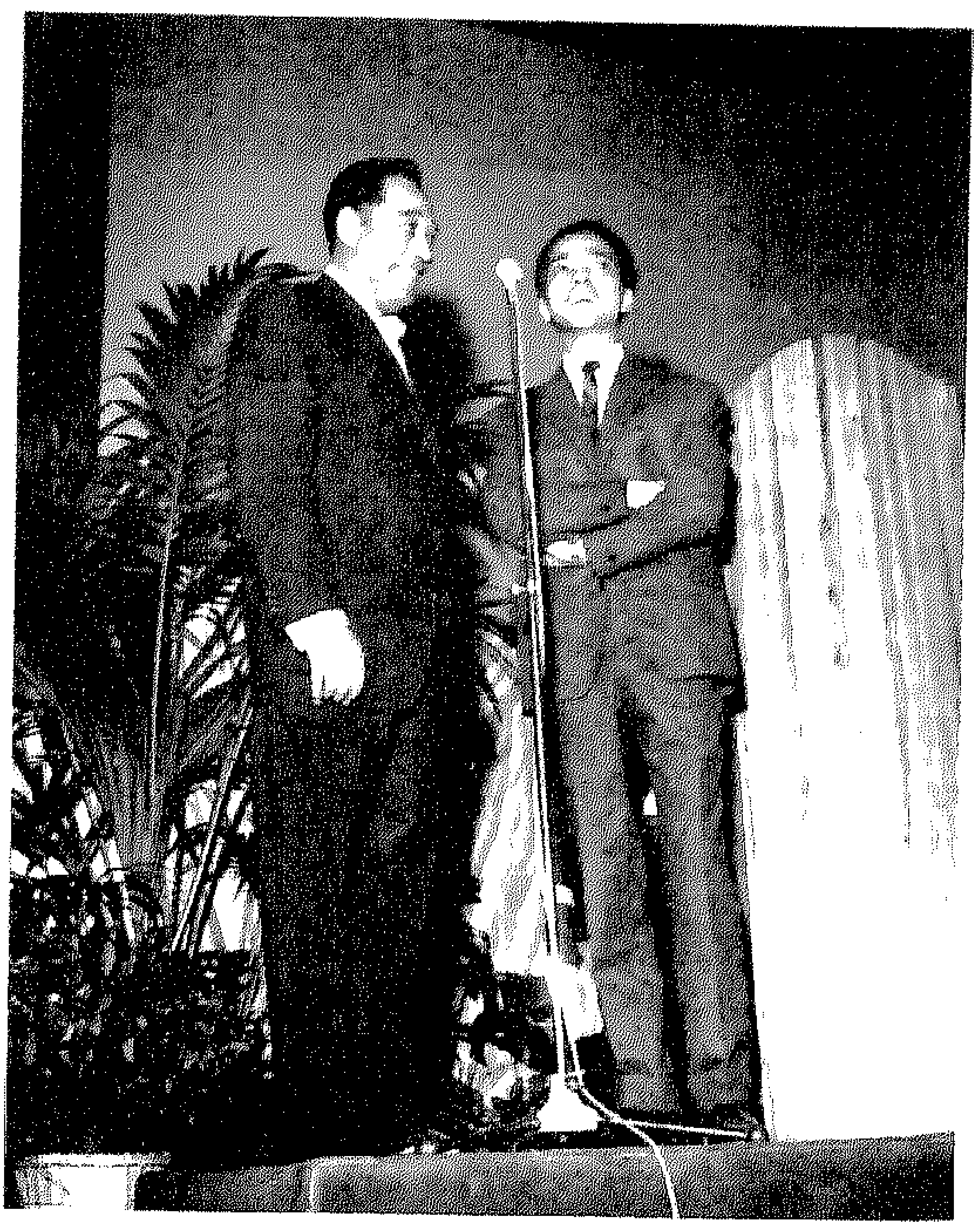
1960 : المؤتمر العام لليونسكو... المهدي رئيسا للجنة افريقيا، إلى جانب م. أديزيشياه المدير العام المساعد لليونسكو



1960 : المغفور له محمد الخامس يستقبل أعضاء المؤتمر التأسيسي لاتحاد الإذاعة والتلفزة بإفريقيا



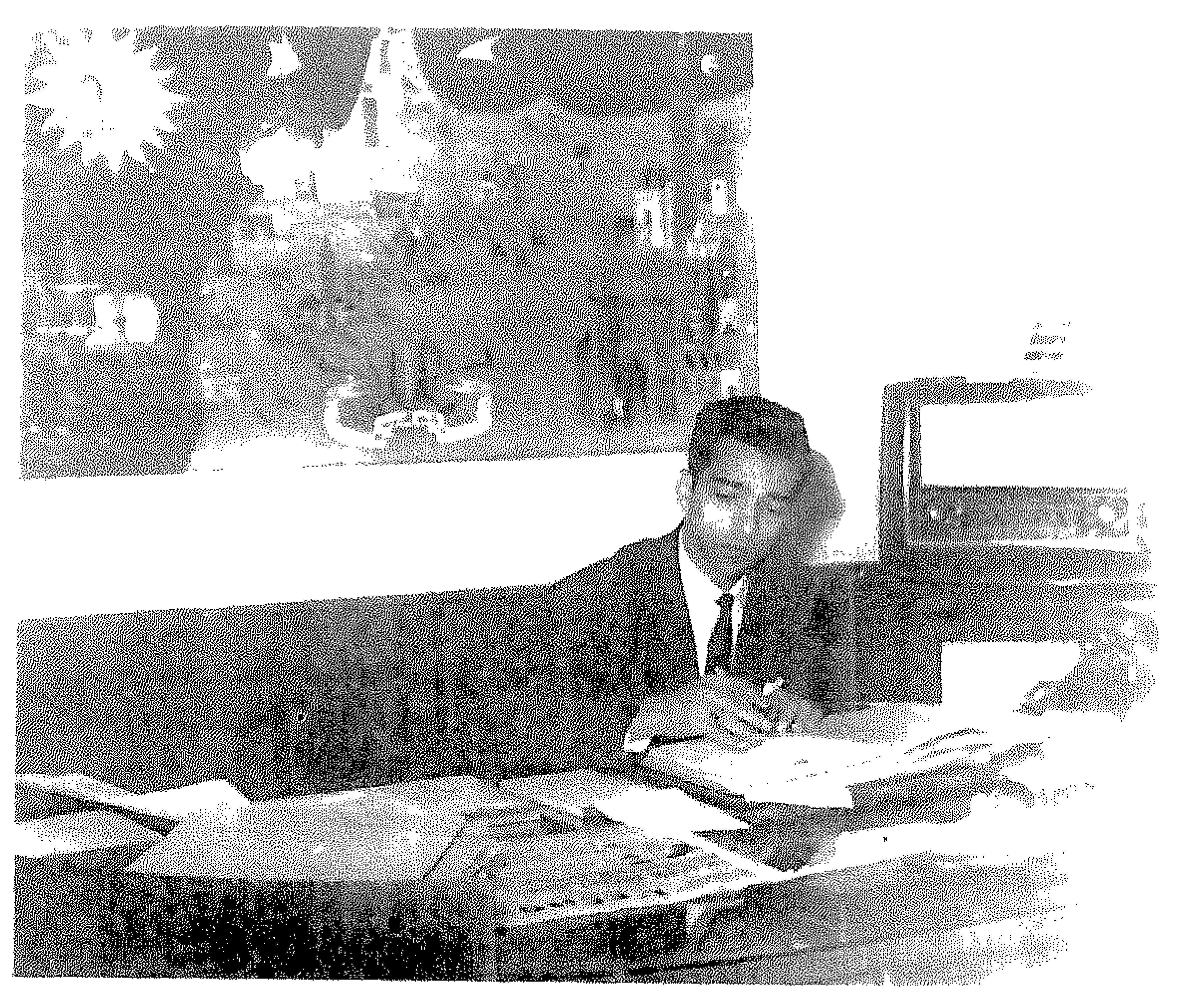
1960 : المهدي المنجرة مع روني ماهو في موسكو



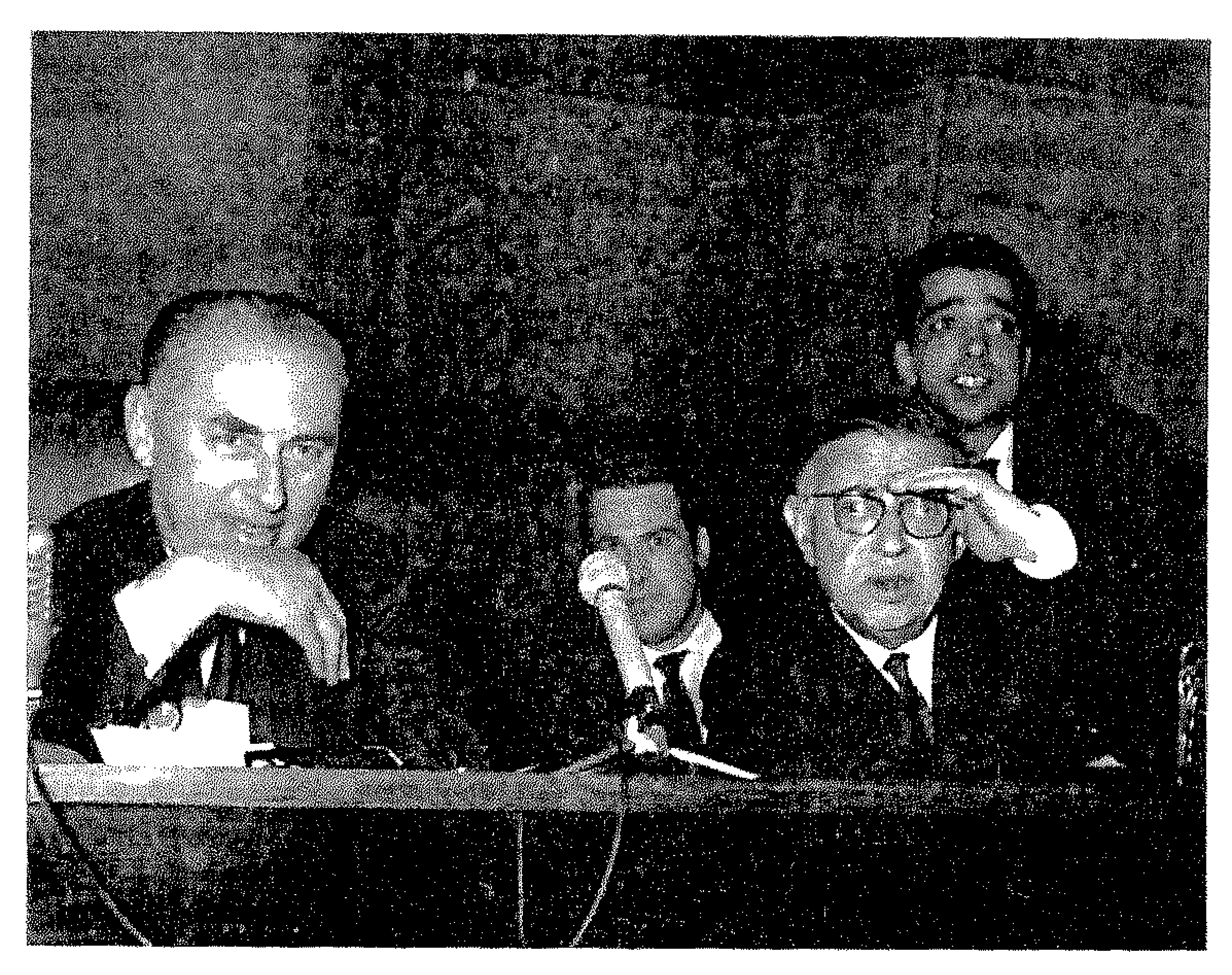
8 دجنبر 1960 : المنجرة يقدم الموسيقي العالمي دوك إلينغتون
في الليلة الإفريقية باليونسكو بباريس



المهدي المنجرة إلى جانب المغفور له محمد الخامس
سنة 1960 أثناء تدشين محطة سبع عيون



1960 : المهدي المنجرة



21 أبريل 1964 : ندوة دولية حول سنة كيركيغارد،
المهدي المنجرة يقف إلى جانب الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر
وروني ماهو المدير العام لليونسكو آنذاك.



27 أبريل 1966 : المنجرة برفقة الراحلة
أنديرا غاندي في نيودلهي



1966 : المهدي المنجرة
برفقة كريشنا مينون في نيودلهي



في مراكش سنة 1968 : المنجرة مع المرحومة
أم كلثوم إلى جانب زوجته أمينة



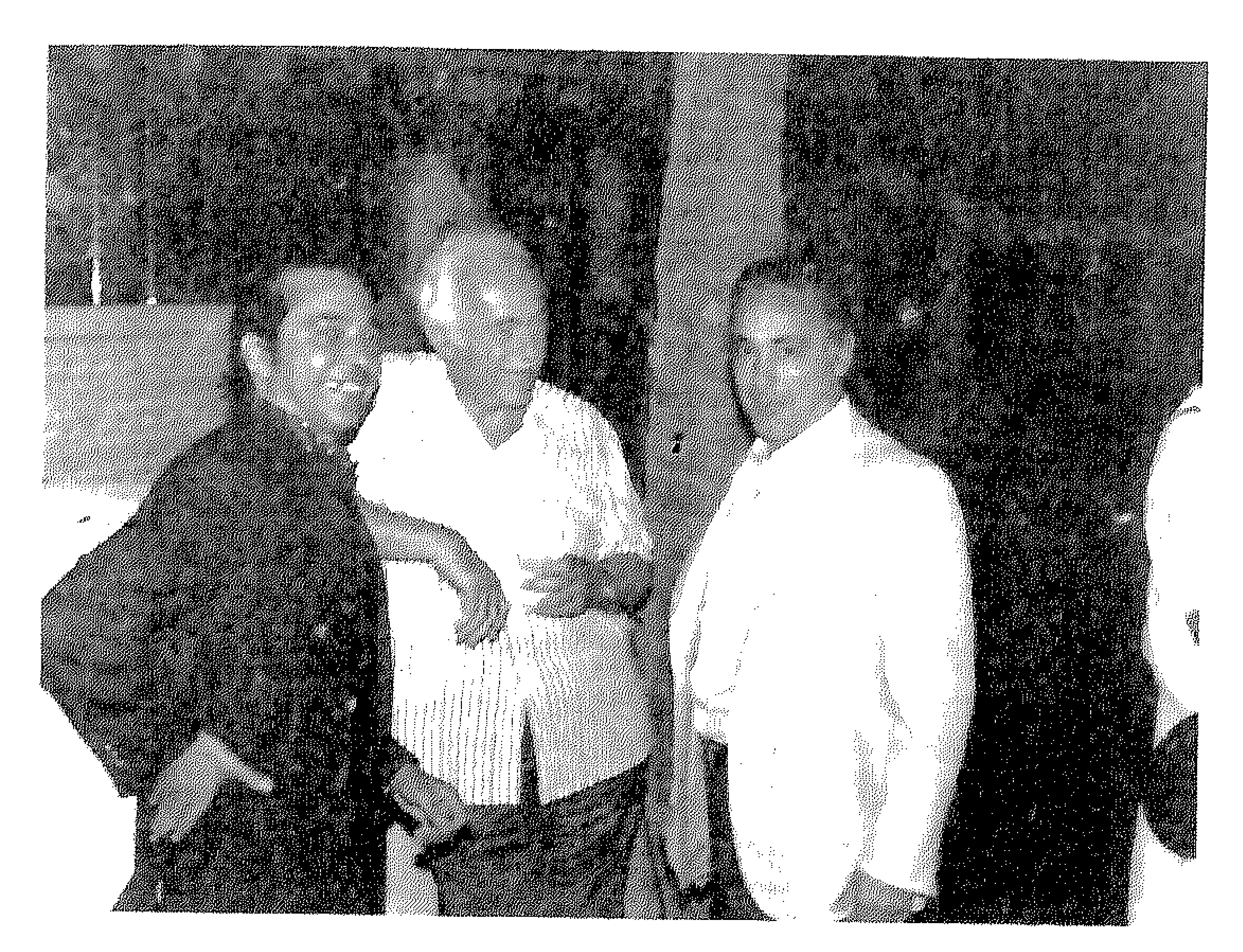
29 يونيو 1972 : المنجرة يستقبل الرئيس بورقيبة بمقر اليونسكو
بباريس . . ذكرى صداقة قديمة (ت- دونيك روجي- اليونسكو)



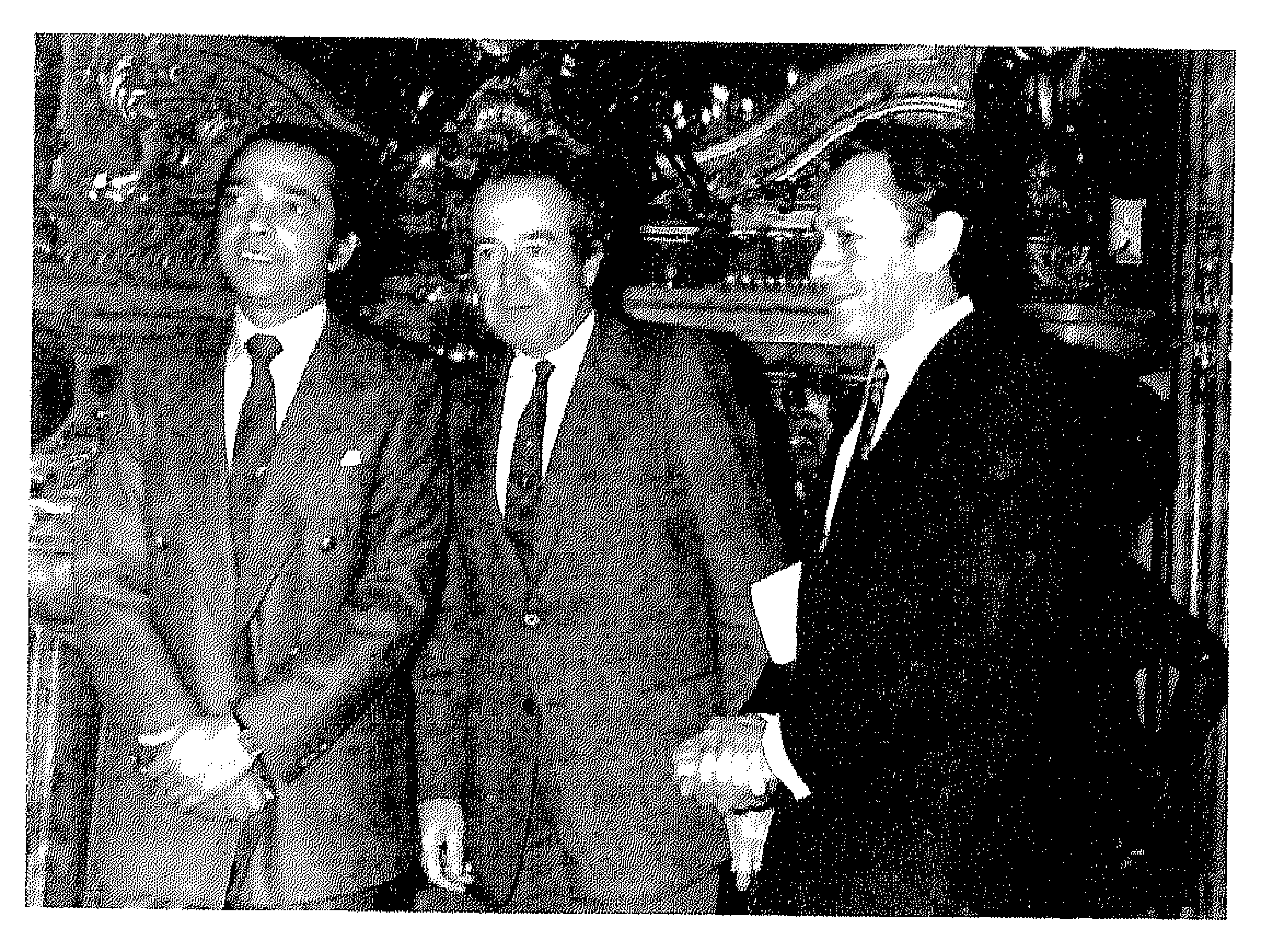
1976 : في نادي روما . المهدي المنجرة إلى جانب
أوريليو بيتشي رئيس النادي
أثناء تقديم تقرير التربية في العالم للصحافة بمدريد



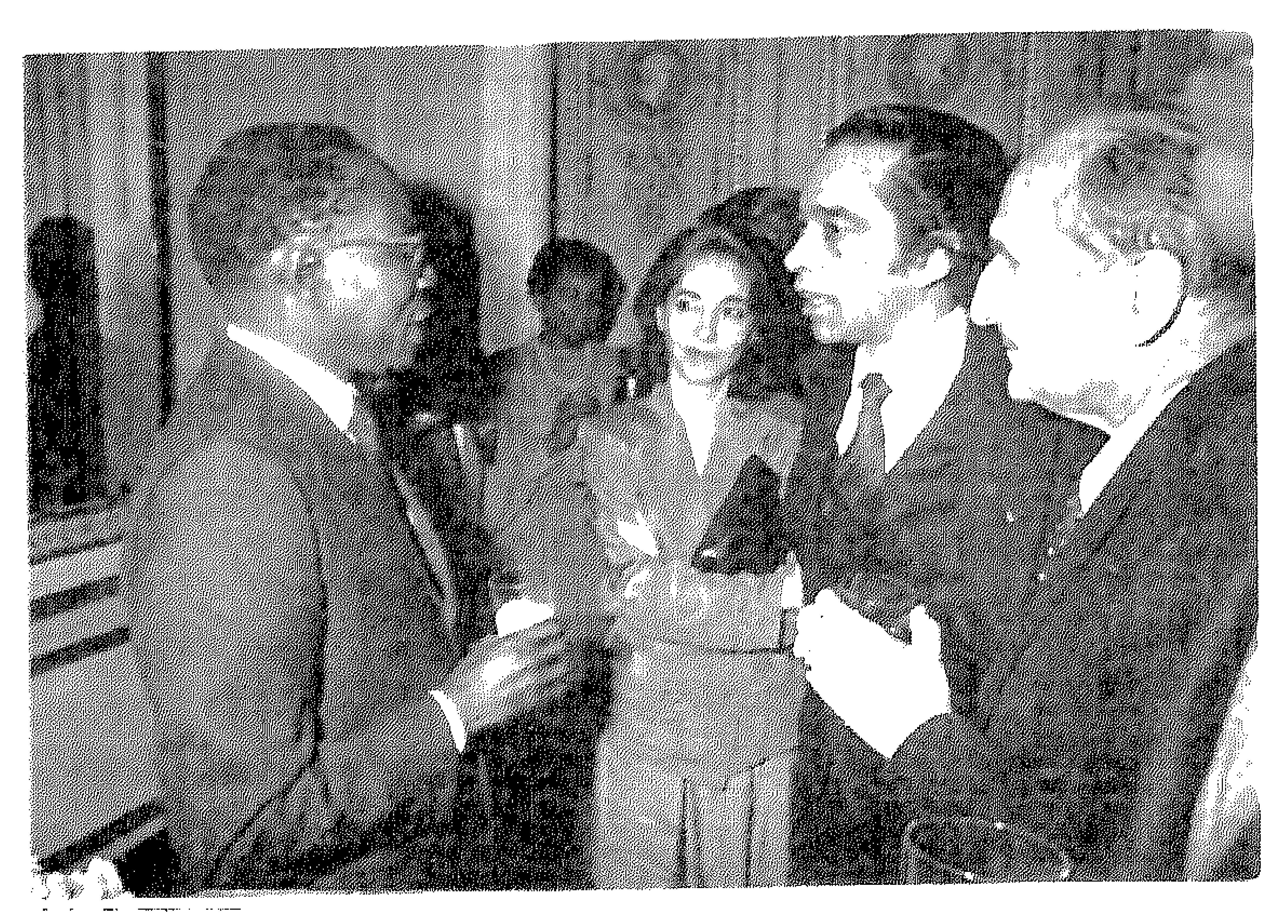
سنة 1979 : مع المرحوم عزيز بلال
وع . الشرقاوي : تأسيس جمعية الدراسات المستقبلية



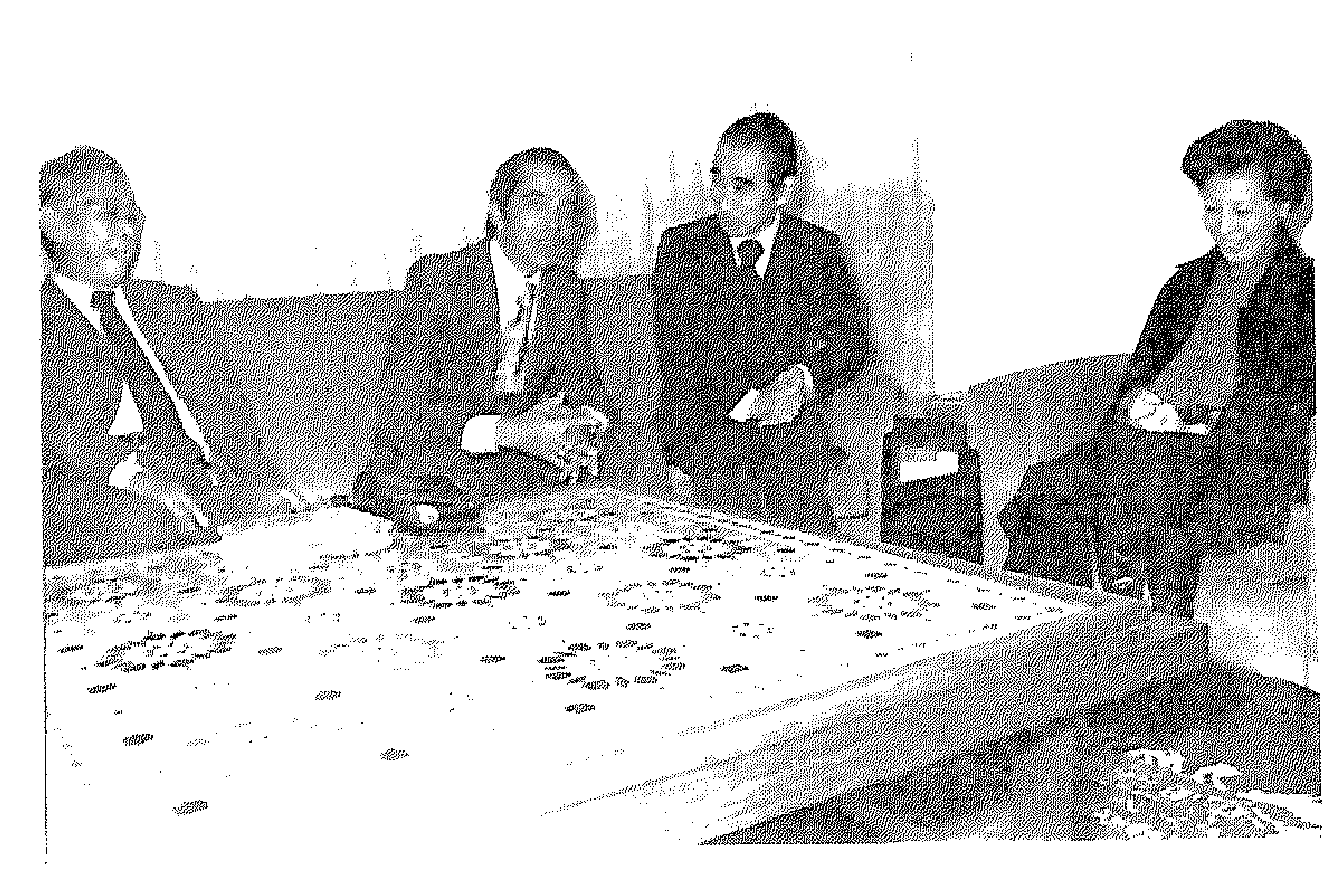
1981 مع أوريليبو بيتشي رئيس نادي روما والأرجنتيني
برناسكوني في أكابولكو بالمكسيك



المهدي المنجرة سنة 1981 مع جان سان جورس وميشال روكار
(وزير التخطيط الفرنسي آنذاك) : الفوز بجائزة الحياة الاقتصادية



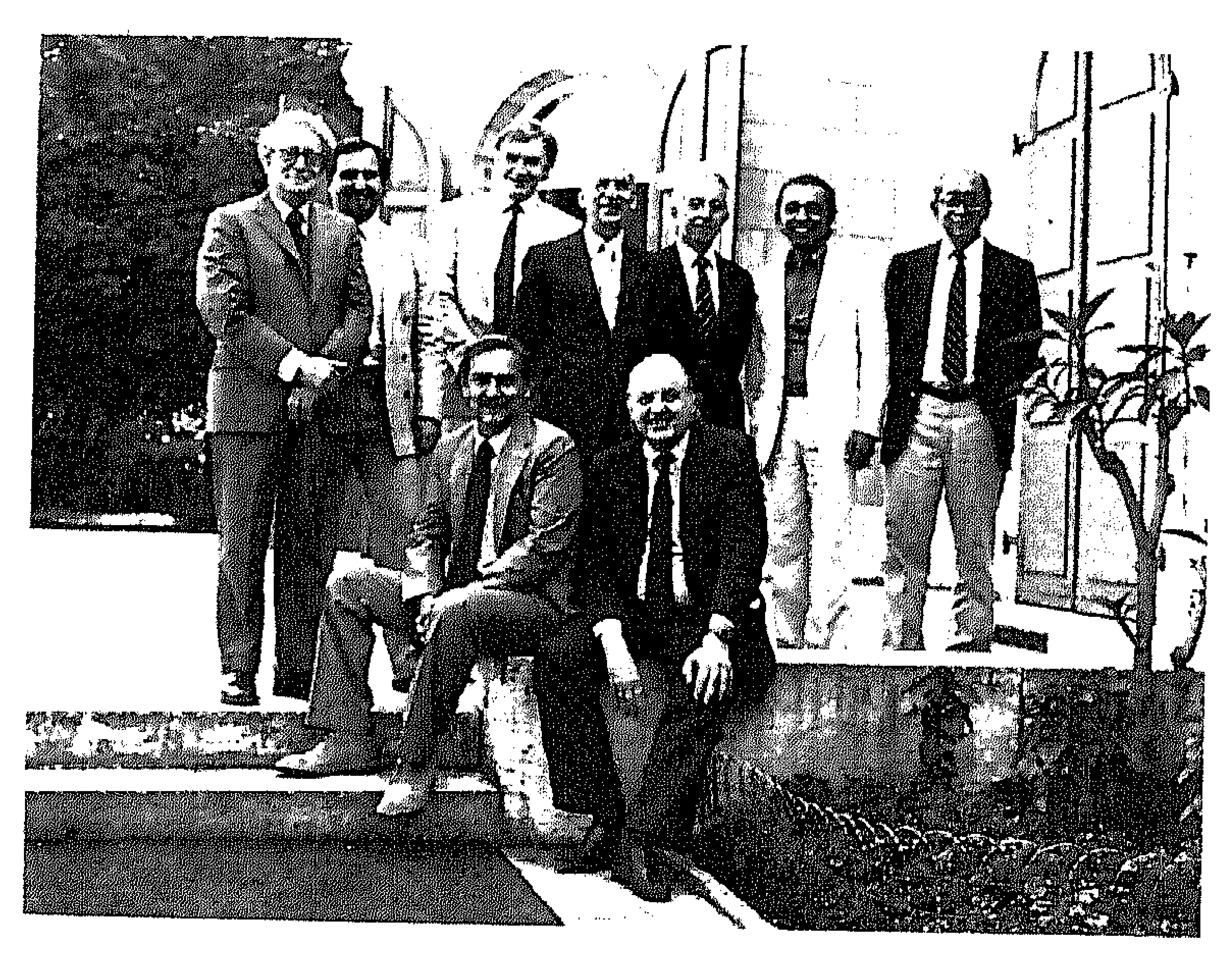
1931 المهدي المنجرة مع الرئيس
الشاعر ليوبولد سيدار سنغور بباريس



المهدي المنجرة في جلسة مع كبار المعماريين اليابانيين



1983 . المهدي المنجرة في بيت الحاج أحمد الحريزي،
هنا بدأت العلاقة الوطيدة مع الموجي



يونيو 1986 بجنيف : الدكتور المنجرة ضمن أعضاء
لجنة تحكيم دولية في جائزة الأغاخان للمعمار



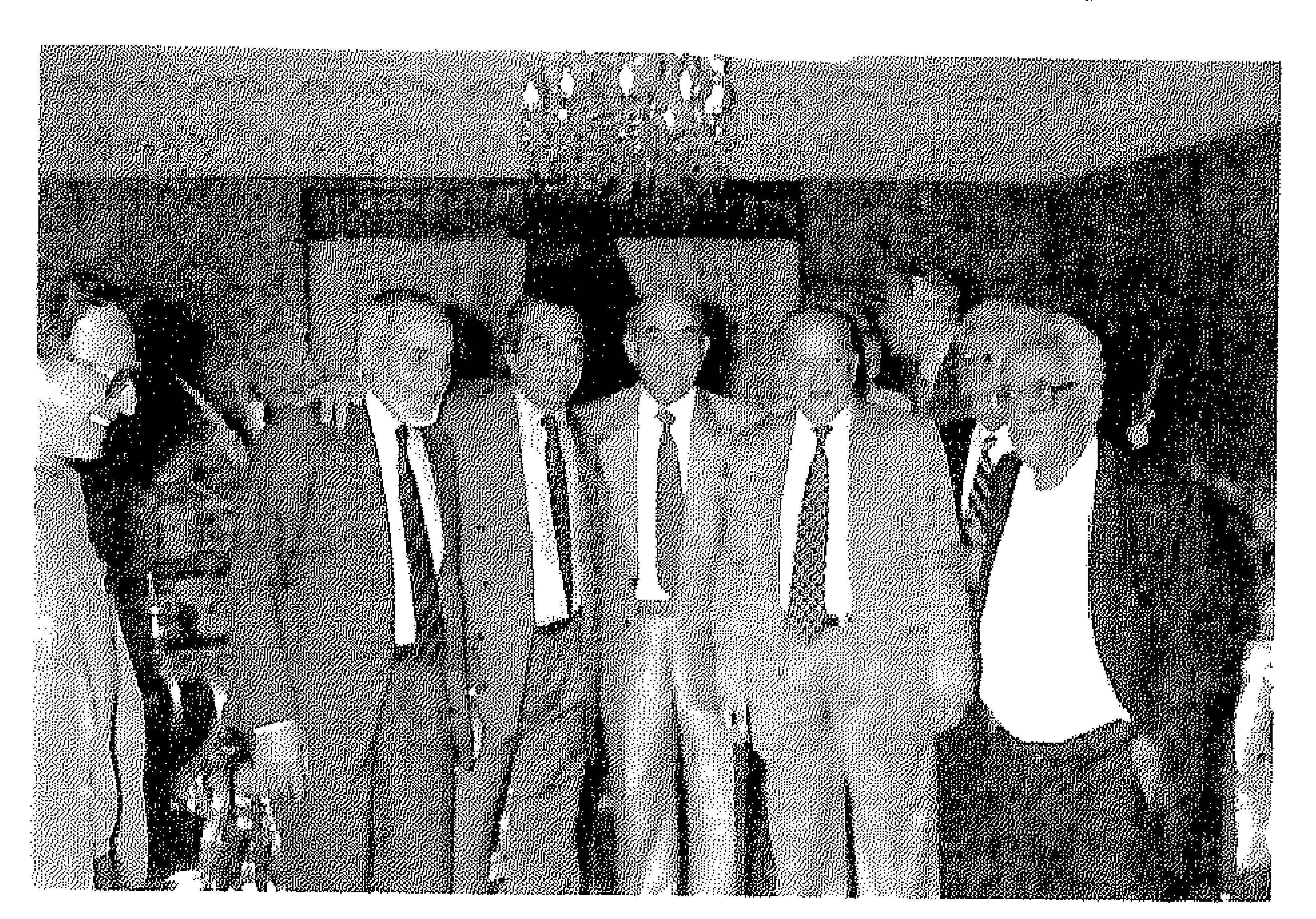
5 مارس 1991 : المنجرة برفقة الرئيس
أحمد بن بلة بالجزائر (ت-عبد الحق سنا)



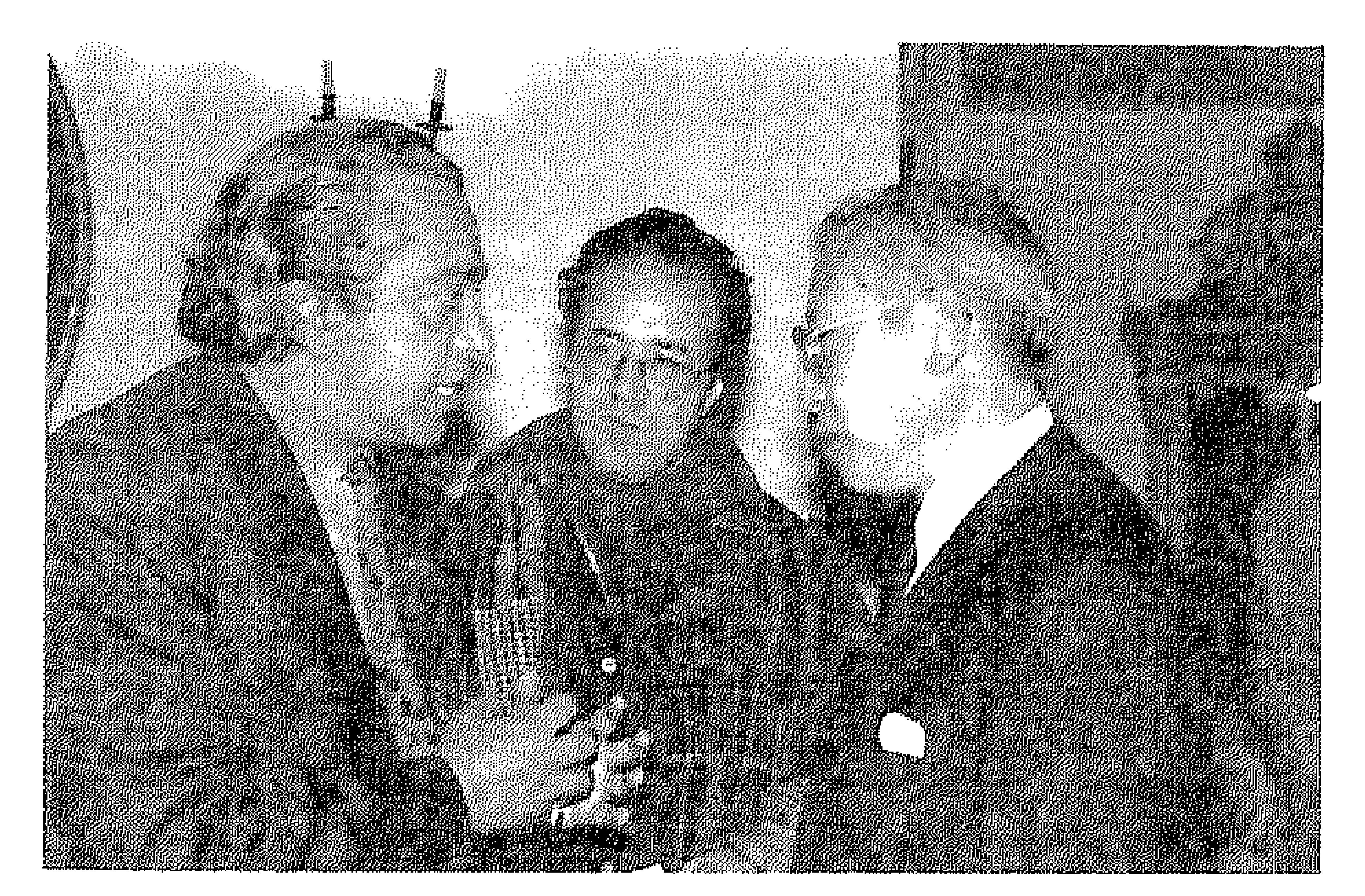
بدأ المهدي المنجرة تقديم جائزة الشمال - جنوب للتواصل الحضاري بتكريم الفنانين. في الصورة حفل
توزيع الجائزة الأولى التي فاز بها مناصفة كل من الفنان أحمد السنوسي والفنان العربي الصبان



مع طارق عزيز ضمن وفد المثقفين المغاربة ببغداد : زيارة تضامن



د . المنجرة في حفل استقبال الأخ محمد الفقيه البصري بالدار البيضاء



د . المنجرة إلى جانب الفنان الساخر (بزيز) الفائز بجائزة الشمال جنوب للاتصال الحضاري والمفكر الياباني الفائز بالجائزة ما قبل الأخيرة .

فشل النموذج التنموي بإفريقيا

□ بارتباط مع المجال الافريقي دائما، يلاحظ أنك تقلدت مهاما أساسية في العديد من المنظمات الدولية جعلتك تضع اليد على جوهر إشكاليات التنمية في القارة السوداء.

ما الذي استنتجته في هذا الإطار؟

وماهي الشروط العامة الكفيلة بضمان انطلاقة تنموية جديدة تعيد لهذه القارة مكانها في العالم؟

■ كان لنا خلال العمل في قسم إفريقيا باليونسكو اهتمام بالعلوم كذلك، وفي هذا الإطار انعقد اجتماع باكرا خاص بالمسؤولين والقائمين بالبحث العلمي في افريقيا كان الهدف منه التخطيط برنامج إفريقي يهم البحث العلمي في مجالات ثقافية وعلمية مختلفة. إن التراث وخاصة التراث الشفوي بقارتنا غني جدا والأمر الذي وجهنا نحو عدد من المشاريع من بينها أننا طلبنا من المسؤولين في كل البلدان الافريقية تسجيل تراثهم المحلي، وقد كان لي الحظ بهذا الخصوص للتعرف على شيخ عبقري هو المالي همبتيبا، أحد

الخبراء في التراث الشفوي وقد سبق له أن انتخب عضوا في المجلس التنفيذي لليونسكو وهو الرجل العصامي الذي كان يردد دائما «كلما توفي أحد من الرجال الكبار بإفريقيا إلا كان الأمر بمثابة احتراف مكتبة من المكتبات»، في نفس السياق أيضا كان لليونسكو فضل جمع تراث النوبة المصري.. كما كان لها فضل الدعوة إلى تنظيم حلقة خاصة باللغات الافريقية الأم وقد بدأ التهيؤ فعلا، لكننا لم نلمس أية رغبة من الدول الإفريقية لاحتضان هذه الندوة بسبب ضغط السفارات الفرنسية، وفي الأخير لجأنا إلى حل نهائي تمثل في عقد هذه الندوة بالكاميرون لأن دستور هذا البلد يعتبر اللغتين الرسميتين هما الانجليزية والفرنسية، وفي تقديري فإنه من غير الممكن أن نتوصل إلى نتائج تنموية إيجابية ما لم نهتم باللغات الأم وما لم نقض على الانفصال داخل افريقيا بين لغة البيت ولغة المدرسة، من هنا ضرورة البحث عن حل تربوي لهذه الازدواجية. أشرت إلى ضغط السفارات الفرنسية في هذا الإطار وذلك لأن فرنسا تتخوف باستمرار من الثقافات الأصيلة فأملها هو أن تظل افريقيا القارة الفرنكفونية الكبرى، هذا التحدي هو الذي دفع بنا إلى مواصلة الاهتمام بقضية اللغات الأم وفعلا وضعنا برنامجا لكتابة هذه اللغات ولنشر قواميس وكتب بهذه اللغة الافريقية أو تلك. وتواصل

اهتمامي الافريقي بالإسهام في تحرير القانون الأساسي للجنة الاقتصادية الافريقية كما كان لي -فيما بعد- شرف تحرير إعلان مونروفيا الذي احتضنته ندوة انعقدت قبيل مؤتمر القمة لرؤساء الدول الافريقية، بتاريخ غشت 1979، ومضمون هذا الإعلان الذي عرض على القمة المذكورة وصودق عليه من طرف الرؤساء هو الدعوة إلى تبني النموذج التنموي المبني على مبدأ الاعتماد على النفس وعلى فكرة التعاون جنوب جنوب. وكان من إيجابيات هذا الإعلان أيضا اتخاذ قرار بتنظيم أول مؤتمر اقتصادي على صعيد القمة انعقد في سنة 1980 بلاكوس حيث هيأ الخبراء الأفارقة برنامج العمل لإفريقيا، هنا أشير إلى موقف البنك الدولي وبعض أوساط المساعدة الفنية الثنائية في البلدان الغربية بحيث وضعت هذه الأطراف افريقيا أمام خيارين : إما العمل ببرنامج للتنمية كما سطره البنك الدولي أو العمل وفق برنامج العمل المسطر في مؤتمر لاكوس وللأسف فقد اتبعت افريقيا خطة البرنامج الأول فكانت النتائج المعروفة، الأمر الذي دفع مسؤولي الدول الافريقية سنة 1995 إلى تأكيد فشل النموذج التنموي للبنك الدولي، بعد لاكوس طلب مني أن أحضر وأنسق لمؤتمر افريقي آخر خاص بالتعاون الفني بين الدول الافريقية واشتغلت طيلة سنة 1981 لتهييء هذا المؤتمر الذي انعقد بنيروبي في نفس

السنة. هنا اشتدت حملة البنك الدولي والأوساط التابعة له بهدف محاربة كل حل تنموي مبني على التفكير الذاتي أو منطلق من البراعة والخلق الافريقيين، وقد استمر هذا الضغط لتنخرط افريقيا بشكل أعمى في تقليد النموذج الغربي، وقد كان من نتائج هذا الضغط أن وصلت افريقيا إلى الوضعية الراهنة التي لايمكن تجاوزها ما لم يتم التعبير عن رد فعل جديد والشروع في تعاون وتفكيرين جديدين بهذا القصد انعقد باليونسكو سنة 1995 اجتماع للتفكير في تنمية افريقيا وقد شاركت فيه بصفة شخصية، وأعتقد في هذا الإطار أنه لاينبغي فقط تفسير فشل كل دول افريقيا وبدون استثناء بالاكتفاء باتهام الآخر، بل إن الأوضاع المحلية في هذا البلد الافريقي أو ذاك تسمح لمثل هذه الضغوط الأجنبية بالنجاح، فهذه الأوضاع لاتحترم الحرية والإبداع والديمقراطية ولا تولي أية أهمية للبحث العلمي والتربوي. يجب، إذن، أن يتغير المناخ السائد وتتغير الأولويات فمن غير المقبول أن تشكل الأمية في هذه القارة نسبة قياسية بحيث تصل إلى نسبة 55٪ كما أن هناك ميزانيات محدودة جدا للبحث العلمي. وأظن أنه آن الأوان اليوم وبعد أكثر من 35 سنة من استغلال افريقيا لتحليل مكامن الفشل وللتفكير في انطلاقة تنموية جديدة، وهي المشروع الذي لايمكن أن يتحقق إلا في مناخ يحترم الحريات الشخصية والعامة.

الإعلاميات والاتصال
أبرز رهانات العصر

□ الإعلاميات والاتصال من الموضوعات التي استأثرت باهتمامك مبكرا، نود أن نعرف مميزات هذا النظام في عالم اليوم وماذا عن التحديات المطروحة في هذا المجال ؟

■ يعتبر نظام الإعلاميات والاتصال العالمي الذي يميز عصرنا اليوم تغييرا نوعيا مهما في تاريخ الحضارة الإنسانية ناتجا عن انتقال حضاري من مجتمع مبني على الإنتاجية والصناعة والرأسمال إلى مجتمع مبني على المعرفة والمعلومات والبحث العلمي، لكن هذا التغيير الذي شمل كل المستويات لايعني أنه لم تعد هناك أهمية للصناعة والرأسمال بل يعني تحديدا أن هذين العنصرين هما مجرد وسائل في عالم يشهد للمعلومات والاتصال بكل شيء. ولنأخذ فكرة عن الأهمية التي صار الإعلام والاتصال يحظى بهما في عالم اليوم نشير إلى أن المبلغ الذي كان يصرفه العالم في مجال الإعلام

والاتصال كان في سنة 1958 يقدر بـ 400 مليار دولار في حين يصرف العالم اليوم في هذا المجال أكثر من ألف مليار دولار، وليس غريبا أن أغنى رجل على سطح الكرة الأرضية هو المسؤول عن الشركة الإعلامية الأمريكية «ميكروسوفت»، والتوقعات تجعل هذا القطاع في سنة 2000 يمثل تقريبا 40٪ من مجموع الانتاج العالمي، ولنا أن نتساءل هنا عن حجم إسهام العالم الثالث في هذه الثورة الجديدة، فهذا العالم الذي يمثل أكثر من 80٪ من سكان المعمور لايصل إسهامه في هذا المجال إلا إلى 8٪، مع الانتباه إلى أنه داخل هذه النسبة المحدودة جدا تمثل منطقة شرق آسيا أي سنغفورة وهانغ كونغ وكوريا وتايوان وماليزيا نقطة التمركز بنسبة 90٪، ومعنى ذلك أن الإسهام الأكثر يأتي من مكان لاوجود فيه للعنصر العربي والافريقي.

وهذا المعطى واحد من أكبر مقاييس التخلف بمفهومه الجديد، وهنا نشير إلى أن المسألة لاتعني فقط شراء حاسوب أو اتصال بقمر اصطناعي كما يحدث في بعض دول الخليج، بل تعني القدرة الذاتية للخلق والإبداع على التحسين المستمر للآليات الجديدة، وإذا لم تتوفر هذه القدرة فلن تتحقق أية تنمية حقيقية مهما تم من مجهود

لشراء الآلات والأجهزة، وقيمة المجهود المبذول في منطقة شرق آسيا يجعلنا نلاحظ أن أول دولة في العالم تنتج «القنوات المندمجة» هي كوريا وليست الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك إذا تأملنا طبيعة التوزيع على المستوى العالمي في ما يتعلق بعالم الاتصال والإعلاميات فسنجد أنه موزع بطريقة غير ديمقراطية نهائيا ذلك أن هناك تركيزا في مناطق معينة على حساب البلدان المتخلفة التي سيتعمق تخلفها خاصة في المستقبل. إن الرهان الأساسي في هذا المجال لم يعد يعني أن تكون لك الإمكانية في امتلاك قدر كبير من المعلومات، بل أن تكون منخرطا في شبكة مختصة على مستوى عالمي فالتطور الجديد يتبلور من خلال دور الشبكات في المستقبل، وقد صرنا اليوم نرى كيف أن الانخراط في الانترنيت يمثل جزءا من التطور الحاصل، بحيث وصل عدد المشاركين في هذه الشبكة إلى ما يقرب من 50 مليون منخرط.

وهذا المعطى يطرح على دول المعمور كافة عددا من التحديات الجديدة ومن بينها على سبيل المثال فقط الظاهرة التي تابعتها فرنسا مؤخرا حيث تم منع الكتاب الذي أصدره الطبيب الخاص لميتران بقرار قضائي، لكن حدث أن التجأ أحد الأشخاص المتوفرين على «مقهى

إعلامي ، ليدرج فصول الكتاب كاملة في شبكة الانترنيت ولا وجود لقرار بمنع ترويج الكتاب بهذه الطريقة، هكذا صار بإمكان أي واحد في العالم أن يأخذ الكتاب عن طريق الاتصال ويقرأه في بيته ويسحبه في مطبعته الخاصة، والمثير أنه بمجرد صدور ذلك القرار القضائي تنامى عدد المنخرطين في الانترنيت في ظرف يومين ليصل إلى أكثر من مئة ألف منخرط. من التحديات الثقافية والحضارية أيضا أن 95٪ من اللغة المستعملة في هذه الشبكة من نصيب الانجليزية وفي هذا بدون شك استعمار حضاري جديد. التحدي الآخر هو شروع عدد من الاختصاصيين في مجال العلوم السياسية في البحث عن صياغة مفاهيم جديدة للدولة، فكما سبق أن أشرت إلى ذلك، فالدولة كانت تعتمد في بناء مفهومها على وجود أرض لها حدود وحكومة ودستور وجيش، أما اليوم فالحدود المادية والجغرافية قد تحطمت، وصار من غير الممكن الاستمرار في الاعتماد على مثل هذا المفهوم بالنظر إلى حياة المعلومات في هذا العصر وإلى حدة الثورة الإعلامية والاتصالية وتعدد تحدياتها.

الحاجة إلى دمقرطة ثورة الإعلاميات والاتصال

□ لنتحدث عن بعض معالم هذه الثورة الإعلامية ما العمل -في تقديرك- لرفع بعض التحديات المطروحة على العالم العربي والعالم الثالث عموما؟

■ تتميز الثورة الإعلامية الراهنة بإفراز نخبة جديدة يصعب تحليل مكوناتها ذلك أن المقاييس لم تعد متجسدة في المال أو الشهادات أو الانتاجية الفكرية بل في شبكة من العلاقات والتداخلات، لدرجة صرنا نلاحظ فيها كيف تتوحد شركات الحاسوب مثلا مع شركات التلفزة والتوزيع بهدف فرض الاحتكار الشامل على هذا الميدان في نهاية القرن، تماما مثلما تحقق احتكار شامل في المجال الصناعي في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة وفي أوربا، وكما هو معروف فذلك الاحتكار قد ولد نوعا من الظلم ومن انعدام العدالة الإنسانية، وإذا كان احتكار القرن التاسع عشر قد

ولد طبقة رأسمالية تقوم على سلطة المال بالأساس فإن احتكار نهاية هذا القرن يقوم على سلطة المعلومات مما يجعلنا نعيش نوعا من فاشية جديدة تتجاهل أهمية القيم لأنها تنبني على مراعاة النتائج والمصالح الشخصية الأمر الذي يجعل المصلحة العامة تضيع تدريجيا، ولأخذ فكرة عن موضوع الاحتكار نشير من الناحية المالية إلى أن ما يملكه مئة أغنى شخص في العالم يساوي أكثر مما يملكه مليار ونصف من البشر، ونفس الشيء يتحقق من ناحية العلوم والمعارف والمعلومات التي تتركز كما قلنا في منطقة على حساب أخرى، والمطلوب لمواجهة مثل هذه التحديات توعية الرأي العام وتطبيق الدمقراطية، وإن كان هذا المفهوم هو نفسه يجب أن يتطور بحسب المعطيات الجديدة ليكون فعالا في مواجهة سلبيات الثورة الإعلامية والانتقالية الجديدة، أسلوب المواجهة الثاني ينبغي أن يتم علي مستوى برامج التعليم بحيث يجب دعم البحث العلمي وتشجيع الابتكار.
وللأسف فقد تم تأسيس منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لتمحو كل أسباب حروب أخرى في المستقبل لكن هذه المنظمة لم تعد اليوم تؤدي هذا الواجب وإن كنا نعلم أن الأمم المتحدة لاتمثل في الواقع إلا ماتريده منها الدول العظمى، الأمر الذي يدفع الأوربيين إلى

التفكير في صياغة برنامج لإنقاذ هذه المنظمة من الإفلاس، وكما هو معروف فإن من أسباب هذا الإفلاس أن الولايات المتحدة أكبر دولة في العالم لايزال عليها ديون في هذا الإطار تقدر بما يقارب ملياري ونصف من الدولارات في الوقت الذي تسند البنك الدولي الذي يتابع عددا من الدول بقدر كبير من الدين. وإذا حاولنا أن نقترب من المشهد العربي والافريقي إزاء معطيات الثورة الإعلامية أمكننا أن نلاحظ بسهولة غياب سياسة محددة في هذا المجال وانعدام كل سبل التعاون بين الدول العربية والافريقية، هذا التعاون الذي يعتبر قدر العرب والأفارقة وليست المسألة ذات نزوع عاطفي بل هي مسألة بقاء في الدرجة الأولى. وأعتقد أن من الحلقات المفقودة الأخرى كذلك غياب التنسيق داخل المشهد العربي الافريقي. إن تجربة المركز الوطني للتوثيق بالمغرب تؤكد نجاحه من ناحية الإمكانيات الفنية والإعلامية والمجهودات المبذولة، إلا أن النجاح يظل محدودا في غياب سياسة تعاون وتنسيق بين مراكز مماثلة في العالمين العربي والافريقي، وأعتقد أن من الضروري أن يتم التفكير لا فقط في الأمن العسكري أو الغذائي .. بل وأيضا وبشكل أساسي في الأمن الإعلامي حتى يكون لنا إسهام مستقبلي في ثورة الإعلام والاتصال. وإذا كنا نلاحظ اليوم

تقصير العرب والأفارقة في هذا المجال فذلك يعود إلى أن الظروف السياسية القائمة حاليا لاتسمح بتطور سياسة إعلامية واتصالية في العالمين العربي والافريقي . ومرة أخرى أؤكد أن من الضروري إقرار الديمقراطية داخل كل المشهد لدى العرب والأفارقة وإيلاء التربية والبحث العلمي كامل العناية والاهتمام وتحمل الدولة مسؤوليتها حتى يتمكن المواطن من مواجهة سلبيات الوضع الجديد ومن الإسهام -بشكل أو بآخر- في الثورة الإعلامية المعاصرة .

المنجرة كمعماري

□ المعروف، أيضا، أن لك علاقة وطيدة بالحقل المعماري وإسهاما كبيرا في التنظير والمتابعة للهندسة المعمارية كمعرفة وكتحققات متعددة ومختلفة في العالم. كيف يستعيد «المهندس المعماري الشرفي» علاقته بهذا الميدان؟

■ دشنت علاقتي بحقل المعمار من خلال علاقتي باليابان. ففي سنة 1968 كنت هناك في الندوة الخاصة بذكرى مرور مئة سنة على ثورة الميجي، وكان موضوع الندوة هو «اتصال اليابان بالغرب في الميدان الحضاري»، وهي ندوة جاء إليها مساهمون من مختلف أنحاء العالم ومن مختلف قطاعات الخلق والإبداع بما فيها الاداب والموسيقى والدراسات المعمارية.

وهكذا، فإضافة إلى تعرفي على عدد من الوجوه والأسماء الكبرى مثل ميشيما الكاتب الياباني الكبير انتبهت إلى مداخلتين أساسيتين لمهندسين معماريين يابانيين : الأول هو ماي كاوا وكان

آنذاك في سن الثمانين تقريبا، وكانزو طانكي المهندس المعماري المشهور والذي كان تلميذا للأول.

إذن اتصالي بحقل الدراسات المعمارية حصل من خلال هذه الندوة الهامة وعبر هذين الرجلين. لكن المهم هو أنني وجدت أن الطريقة التي كانوا يحللون بها التطورات الاقتصادية والثقافية والحضارية .. كأنها في حد ذاتها كانت نوعا من البناء المعماري، ولها علاقة أيضا بحقل الجماليات. ومن ثم وجدت أن التوازن والاندماج والانسجام، وهي قيم أساسية بالنسبة إلي، في عدد من المداخلات وبالخصوص في مداخلتي الرجلين اللذين اقتربت منهما أكثر وخاصة كانزو طانكي الذي ظلت تجمعني به علاقة متينة إلى اليوم، علاقة تجددت باستمرار من خلال تعدد اللقاءات ومشاركاتنا معا في عدد من لجن التحكيم الدولية في المجال المعماري.

وفي السنة الموالية، شاركت ومثلت اليونيسكو في المؤتمر العاشر للاتحاد العالمي للمهندسين المعماريين الذي انعقد في بوينس أيرس. وفي سنة 1978 طلب مني الاتحاد العالمي المذكور أن أكون أحد مقرري المؤتمر الدولي الثالث عشر الذي انعقد في ميكسيكو. وفعلا كنت مقررا للمؤتمر الذي حضره أكثر من ستة آلاف مهندس معماري

من جميع أنحاء العالم، خصوصا من دول العالم الثالث. وقدمت في ذلك المؤتمر دراسة حول «دور المهندسين المعماريين في التنمية» وهي دراسة نشرت بعدة لغات ونشرت باللغة العربية في جريدة «المحرر» بتاريخ 22 دجنبر 1978. وفي نفس المؤتمر فوجئت بقرار الاتحاد العالمي للمهندسين المعماريين بتشريفي بصفة مهندس معماري شرفي. وهو اعتراف بجهد علمي في مجال سيزداد اهتمامي به أكثر عندما غادرت اليونيسكو وأصبح لي فضاء واسع من الحرية للتصرف في اختياراتي ومبادراتي وأولوياتي.

وفي سنة 1980 شاركت في لجنة التحكيم الخاصة بمشروع المركز الإسلامي بمدريد وتعرفت بتلك المناسبة على عدد من الأسماء الهامة بينها رفاييل دي لاهوس، وبالخصوص المهندس المصري الكبير حسن فتحي الذي كان من أكبر الخبراء في المعمار الإسلامي، فضلا عن ثقافته الواسعة ورؤيته العميقة. كان معنا كذلك من المغرب مولاي علي الادريسي الذي كان آنذاك رئيسا لجمعية المهندسين المعماريين المغاربة.

وفي سنة 1983 جاء المشروع الكبير، وهو مشروع La tête de défence بباريس، وهو ما يسمى أحيانا L'arche de défence، حيث

كنت من بين أعضاء لجنة التحكيم وجاء الاقتراح آنذاك من طرف جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي سابقا. ووجدت نفسي بين مجموعة من أكبر وألمع الخبراء والمهندسين المعماريين في العالم، وانتخبت كنائب لرئيس اللجنة وهي مسؤولية كانت كبيرة.

وبعد اجتماعات مطولة وساعات عديدة من العمل والنقاش والتداول، توصلنا بإجماع الأعضاء إلى خلاصات وإلى نتيجة نهائية لترتيب المشاريع الفائزة (الأول الثاني والثالث). لكن حصلت مشكلة مسطرية مع المسؤولين الفرنسيين. فبينما قررت اللجنة الترتيب وفق مقاييس ومعايير مضبوطة وواضحة، طلب الجانب الفرنسي ألا تعلن اللجنة إلا أسماء الفائزين الثلاثة فقط وبدون إعلان الترتيب لكي يبقى المجال والحرية لرئيس الجمهورية فرانسوا ميتران لاختيار أحد هؤلاء الثلاثة الفائزين.

شخصيا، اتخذت موقفا وكذلك أعضاء آخرون بخصوص ضرورة إعلان النتائج كما هي لأننا ملزمون بأن نخبر الإعلام بما جرى داخل مداولات اللجنة وما ترتب في النهاية من ترتيب. فقط يمكننا أن نؤخر إعلان النتائج، لكننا لانستطيع أن نعلن نصف إعلان. لكن الإليزي في النهاية وافق على هذه المسطرة وتم الإعلان عن النتائج كما

هي، وبعد أسابيع اتخذ القرار النهائي وجاء موافقا لاختيار اللجنة.

وفي السنة الموالية 1984، نظمت بطوكيو مسابقة دولية للمعماريين الشباب وكان لي شرف المشاركة في لجنة التحكيم الخاصة بهذا الحدث. وهكذا غدت علاقتي تتوطد باستمرار بالحقل المعماري، حيث أنجزت عدة دراسات معمارية يتصل عدد منها بجانب الدراسات المستقبلية مثل دراستي حول «الدارالبيضاء سنة 2000». وفي نطاق آخر ساهمت سنة 1986 في لجنة التحكيم الخاصة بجائزة الآغاخان الدولية.

وقد أسعدني كثيرا أن ابنتي سليمة تخصصت في الدراسة المعمارية لأنها تفتح الأفق على مجالات معرفية أخرى، خصوصا وأن هناك أزمة على هذا المستوى في العالم الثالث. طبعا ليس هذا مجال التفصيل في هذه الأزمة، لكنني أود أن أقول فقط إن الأزمة الممتدة إلى عدة ميادين هي في العمق أزمة في الخلق والإبداع.

إن أزمة الإبداع تجد لها امتدادات ومظاهر في ما نعرفه ونعيشه من أزمات في الاقتصاد والسياسة وفي المجال الخلقي كذلك. وهذا الارتباط بين الثقافة والتنمية والإبداع هو الذي أصبح يشكل الأفق الوحيد الممكن لكل استراتيجية انسانية. وبالطبع، فنحن نذكر أن

النهضة الإنسانية في كل منطلق جديد لها كانت تنطلق من المؤشرات النابعة من الحقل الفني.

لقد كان العديد من المشاركين في ندوة طوكيو سنة 1968 يتساءلون عن أسباب النهوض الياباني، وعما إذا لم يكن أساسه في التطور التكنلوجي والاقتصادي ... إلخ. وكل ذلك له تأثير بطبيعة الحال، لكن ماكانت لتكون له قيمة لولا طاقة الخلق والإبداع والإرادة القوية للابتكار والتجديد والاعتماد على النفس وعلى القيم المحلية.

اهتمام عميق بالفنون التشكيلية

□ المعروف عنك كذلك، اهتمامك الكبير بحقل الإنتاج التشكيلي وبرموزه، ولك علاقات مع عدد من التشكيليين المغاربة والعرب والأجانب، متى بدأ لديك هذا الاهتمام وكيف اخترت مجموعة اللوحات العديدة التي تؤثث فضاء بيتك ؟

■ أفضل أن أبدأ الحديث عن مجموعتي الخاصة، فهي من إبداع فنانين مغاربة باستثناء لوحة أو لوحتين، وهو اختيار مقصود ولا علاقة له بنزوع شوفيني عنصري، بل الأمر يعود إلى أنني أتفهم روح الهوية المغربية في هذه اللوحات وأجد فيها أجوبة لأسئلة لا أجد لها الجواب في الخطب السياسية الرسمية، والتجربة علمتني كيف أتوسم في الأعمال الفنية مفاتيح لفهم الأشياء والعالم، ويمكن أن أكون قد تأثرت في ذلك بوعي أو بدونه ببعض المؤلفات ككتاب أندريه مالرو Le musée imaginaire الصادر سنة 1947، أو يعود ذلك لتأثيري بلقاءاتي على المستوى الدولي مع عدد من المبدعين والفنانين، ففي

هذا الإطار ساعدني مقامي بباريس وعملي باليونسكو على أن أمعن في تذوق الجماليات والفنون واذكر أن مقر اليونسكو كان -باستمرار- معرضا للأعمال الفنية الكلاسيكية والمعاصرة، كما يعتبر اتصالي بالفنان أحمد الشرقاوي رحمه الله في بداية الستينات نافذة أساسية بالنسبة لي في ذلك الوقت لأتلقى فنيا تفسيرات خاصة بالمغرب، فالشرقاوي يعبر في أعماله عن قضايا مغربية محضة في صيغة عالمية وهو مايكسبها قيمتها، ولذلك اعتبره امتدادا للمرحوم ابن علي الرباطي الفنان الطنجي الذي عاش مابين 1861 و1939 وقد سبق له أن نظم معرضا بلندن سنة 1916، كما اعتبره مع المرحوم الغرباوي تأسيسا لأجيال الفنانين التي أتت في ما بعد : أحمد بن يسف، المكي مغارة، فريد بلكاهية، محمد القاسمي، عبد الكبير ربيع، لطيفة التجاني، سعد الحساني وأسماء أخرى لي معها علاقات فنية وثيقة. إنني حين أستعيد علاقتي مع التشكيل لابد أن أتذكر لحظة لها أكثر من دلالة، ففي موسم 1979/78 استدعيت لتناول الغذاء مع السيد كريم العمراني رئيس المكتب الشريف للفوسفاط آنذاك بحضور ضيوف مغاربة وأجانب وحصل أن انفعلت بشدة وخاطبت السيد العمراني بالقول : « كيف تبنون عمارة بأكثر

من خمسة ملايير دون أن تجدوا سنتيما واحدا لتأثيث فضاء هذه العمارة ولتشجيع الخلق والإبداع؟» وقد كان يروج في ذهني آنذاك ماشاهدته بباريس أثناء إشرافي على قطاع الثقافة باليونسكو بحيث نجح أندريه مالرو وزير الثقافة الفرنسي في استصدار قانون ينص على أن تقتطع نسبة 1٪ من مداخيل المؤسسات الرسمية والعمومية لفائدة تشجيع الخلق والإبداع المحليين . .

بعد ذلك مباشرة وفي الثالثة والنصف من زوال أحد الأيام، استقبلت بمكتبي أحد العاملين بالمكتب الشريف للفوسفاط الذي سلمني رسالة من السيد العمراني وضمنها شيك بقيمة مليون درهم ومعه طلب من رئيس المكتب الشريف للفوسفاط لصرف ذلك المبلغ في شراء أعمال فنية لعرضها بعمارة الفوسفاط فكان ردي سريعا، شكرت السيد العمراني وأعدت له الشيك طالبا منه أن يكون لجنة خاصة لهذه المهمة فمصاريف شراء اللوحات واختيارها ينبغي أن يكون من اختصاص لجنة تعمل تحت سلطة المؤسسة المذكورة. والنتيجة في ما بعد هي مبادرة عدد من المؤسسات العمومية البنكية وغيرها للانفتاح على العمل التشكيلي واقتناء اللوحات ومحاورة الفنانين. لقد اتسم موقفي بالانفعال يومها ومع ذلك فلا بأس من أن

ينفعل المرء من حين لآخر إذا كانت للانفعالات الشديدة بعض النتائج كهاته، فقد أصبحت لإدارة الفوسفاط إحدى أجمل وأهم المجموعات التشكيلية المغربية.

أذكر أيضا أنه كانت لي -في هذا الإطار- مساهمات أخرى في المهرجانات الصيفية التي كان يشرف عليها محمد بنعيسى ومحمد المليحي بأصيلا وتواصلت علاقتي بالتشكيل من خلال تتبعي للنقاشات الدائرة حول الموضوع وللمعارض التي تنظم من حين لآخر ولا أترك المناسبات تمر دون أن أقتني بعض اللوحات كلما سمحت لي الإمكانيات بذلك. هنا أشير إلى أنني أصر على شراء اللوحات ولا أتوفر على أية لوحة أهداها لي فنان ولا أقبل بذلك لأبقى حرا في الاختيار ولأنني أرفض ألا يجازى جهد الفنان بمقابل مادي. وأختم جوابي عن سؤال التشكيل بالتأكيد مرة أخرى على استحالة تحقق التنمية المجتمعية الشاملة ما لم يحظ مجال التشكيل وباقي مجالات الإبداع الأخرى بما يكفي من الرعاية والاهتمام، فلحد الآن لانتوفر -للأسف الشديد- على متحف معاصر للفنون وهو أمر لا أتفهمه حقيقة، بل يمكن القول إنني كمواطن لا أقبله مطلقا.

الموسيقى .. الموسيقى

◻ نعرف أيضا أن لك علاقة عميقة بالموسيقى وان ذاكرتك تحتفظ بوقائع وأسماء لها تأثيراتها في مسارك الشخصي والفكري. ماذا عن هذه العلاقة؟ وما الذي تختزنه ذاكرتك من عناصر تأثير على مسارك وتجربتك؟

■ تتأسس ذاكرتي الموسيقية على حكاية دالة تعود إلى زمن الطفولة، فحين كنت في الرابعة عشر من عمري بدار مراصا بالرباط اقتحمت «بنيقة» كانت مكانا خاصا بالوالد يحفظ به آلة قديمة وعددا من الأسطوانات ولم أذكر ما الذي وقع حتى كسرت أسطوانة تتضمن أغنية «جفنه علم الغزل» لمحمد عبد الوهاب فكان رد فعل الوالد رحمه الله أن عاقبني بالضرب، إنها المرة الأولى والأخيرة التي تلقيت فيها هذا النوع من العقاب، وسبب الضرب كما فهمت ذلك في ما بعد هو «اعتدائي» على الطرب والموسيقى، وهو الأمر الذي ماكان للوالد أن يقبله مما يبرز تلك المكانة العميقة التي كانت الموسيقى

تحظى بها في حياة الوالد، أذكر كذلك أنه في نفس تلك السنة زارتنا بالبيت الفنانة «نادرة» على إثر مجيئها إلى المغرب وقد تعمدت أن أشير إلى هذين المعطيين لأؤكد أن الظروف قد ربطتني مبكرا بفن الموسيقى، خاصة أن أبناء عمي هم أيضا كانوا شغوفين بهذا الفن ويتقنون العزف على آلة العود كما أن عمي سيدي الكنتي رحمه الله كان شديد التعلق بالموسيقى وغالبا ماكان يحدث أن يترك بيته يومين أو ثلاثة لمعاشرة الأجواق وللاستماع والمؤانسة وقد كان معروفا بسلوكه هذا في فاس كلها، أسجل أيضا أن «درب التازي» الحي الشعبي الذي كنا نسكنه بالدارالبيضاء كان يعرف كل ليلة حفلات موسيقية وأشير -عرضا- إلى أن من المؤسف أن الأحياء الشعبية قد افتقدت اليوم مثل هذه الأجواء التي كان فيها الفرح استمتاعا يوميا. هذا الانفتاح على الموسيقى كنت أعيشه كذلك حين ننتقل صيفا إلى إيفران بحيث كان يتاح لي الإنصات إلى عدد من الإيقاعات المحلية الأصيلة، ولذلك حين انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1948 سافرت وفي ذاكرتي مزيج فاتن من موسيقى الملحون والطرب الأندلسي وأغاني أحواش والحسين السلاوي وسليم الهلالي، بالإضافة إلى الأغاني المصرية وخاصة أغاني

محمد عبد الوهاب وقليل من الموسيقى الفرنسية كأغاني موريس شوفاليي وإديت بياف التي كانت لاتزال في بدايتها. في أمريكا ارتبطت في علاقة غرامية مع موسيقى الجاز، هذا الفن الذي أعتبره مكان تقاطع الفن والسياسية والإيديولوجيا والأخلاق لأن تاريخ الجاز هو تركيب لمشاعر تناهض العبودية والظلم والاستعمار فما عاشه مبدعو الجاز هو ما يعيشه كل المضطهدين في العالم الثالث وأذكر بهذا الخصوص حرصي على حضور حفلات الثنائي لوي أرمسترونغ وأيلا فيتزجيرالد وغيرهما من الأسماء. وفي المقابل كنا نحرص على متابعة فن الجاز الشعبي بالزنقة 52 حيث تخصص العلب الليلية فسحات عديدة لهذا الفن، وفي هذا التاريخ استمتعت بجاز « ديكسي لاند » أي « أرض الديكسي » وهي المنطقة التي كان يحيا فيها العبيد الأمريكيون ومنها انطلق هذا النوع ليتخذ -في ما بعد- أشكالا إبداعية متطورة. لقد كنت محظوظا في الاستمتاع بهذا الفن تماما كما أفادتني كثيرا تلك الإيقاعات التي كان يتحفنا بها سوركن عازف البيانو الشهير. بعد سفري إلى لندن لمتابعة دراستي الجامعية بكلية علوم الاقتصاد هناك تعمقت غرامياتي الموسيقية، إذ كنت أتابع مع زوجتي أمينة ومع عدد من الأصدقاء حفلات الموسيقى

السمفونية التي كانت تعزف على إيقاعات أشهر الفنانين ومن بينهم في ما أذكر توسكانيني وآخرون. من هنا تكون لدي استعداد ليحتضن سمعي كل الأنواع الموسيقية من الطرب الأندلسي والملحون إلى الحسين السلاوي إلى الجاز والسمفونيات، وهنا أفتح قوسا لأشير إلى أن موسيقى محمد عبد الوهاب قد لعبت دورا هاما في تعويد الأذن العربية على تقبل التعددية الموسيقية من خلال توظيفها لأنغام وإيقاعات مختلفة تعود لشعوب وحضارات عديدة، إنني أدافع باستمرار عن مجهود محمد عبد الوهاب في هذا الإطار فما قام به من تنويع النغم العربي وانفتاحه على موسيقى الشعوب الأخرى لايعتبر تقليدا، بل إسهاما خلاقا في حوار فني مع فنون أخرى وله الفضل في تربية الأذن العربية التي تختلف بكثير عن الأذن الغربية التي ظلت نمطية باستمرار. وهذا يذكرني بأحد لقاءاتي بالفنان محمد الموجي بالرباط بحيث نزل ضيفا ذات صيف على أحد أصدقائنا وهو الحاج أحمد الحريزي، وكان يطلب مني أن أزوده بأسطوانات للموسيقى الكلاسيكية لبتهوفن وشوبان وموزار وأذكر أنه كان ينصت إليها اثنين أو ثلاث ساعات في اليوم على الأقل لأنه كان يجد فيها راحته ولأنها تساعده -من جهة ثانية- على توسيع

مجالات إدراكه ومعارفه. بعد لندن أتيحت لي بالقاهرة سنة 1955 فرصة للاستمتاع مباشرة بسهرة أحيتها أم كلثوم بمسرح الأزبكية يوم فاتح دجنبر 1955 وهو التاريخ الذي انطلقت فيه علاقتي العميقة والمكثفة مع هذه الفنانة الشامخة وقد تعمقت صلاتي بها بباريس خلال عملي باليونسكو وأثناء زيارتها للمغرب.

في اليونسكو كان لي أيضا اتصال مستمر مع المجلس الدولي للموسيقى الذي نظمنا معه بالقاعة الكبرى لليونسكو ليلة موسيقية عزف فيها رافي شنكار ويودي مانوين، وأذكر أن هذين الفنانين قد عزفا بشكل مرتجل، لكن بثراء فني كبير عبر عن حوار بين حضارتين وآلتين هما السيتارة والكمان، وتوالى اهتمامي بالموسيقى بعد عودتي إلى المغرب وإشرافي أثناء العمل بالإذاعة على تأسيس الأجواق الموسيقية المغربية، ومن ثم تابعت أعمال الفنانين المغاربة : أحمد البيضاوي، عبد القادر الراشدي، المعطي بنقاسم، عبد الوهاب أكومي، صالح الشرقي، اسماعيل احمد، الحاجة الحمداوية ثم الأصوات الجديدة آنذاك : بهيجة إدريس وعبد الوهاب الدكالي وعبد الهادي بلخياط ...

في الختام لا أود أن تفوتني المناسبة دون أن أشير إلى واحد من

الأسماء الاستثنائية في فضاء الخلق الموسيقي في العالم العربي، إنه الدكتور منير بشير عازف العود الشهير الذي حظيت بحضور عدد من حفلاته بأوربا والمغرب ... وقد مكنتني متابعة أعماله من الوقوف على الطريقة الصوفية التي يعزف بها على آلة العود ... مما يجعله يتبوأ مكانة خاصة في الإبداع الموسيقي العربي والعالمي.

شعرية أم كلثوم

□ لنتوقف قليلا عند هذه العلاقة العميقة التي تربطك بأم كلثوم، كيف تأسست هذه العلاقة؟ وما الذي يعنيه بالنسبة إليك صوت هذه الفنانة وإسهامها في فضاء الغناء العربي؟

■ فاتح دجنبر 1955 هو التاريخ الذي حجزت فيه تذكرة للاستمتاع بالصورة الحية لأم كلثوم على خشبة مسرح الأزبكية بالقاهرة رفقة عبد القادر الصحراوي ومحمد التازي، ولا أستطيع -مهما حاولت- أن أصف المشاعر التي خالجتني يومها وأنا في حضرة صوت استثنائي وشخصية تؤسس مسارها الفني بجهد وجدية ومصداقية. ومن ثم ارتبطت بفن أم كلثوم وقد تغذى هذا الارتباط بالتقاطنا الأسبوعي -في ما بعد- لأغانيها من «صوت العرب» عبر الموجات القصيرة. حين عينت مديرا للإذاعة حدثت لي مع هذه الأغاني حكاية طريفة ذلك أنني طلبت من الشاب محمد بنعيسى الذي كان يتابع دراسته بالقاهرة ويهتم بشؤون الاتصال أن يأخذ معه

اعتبارات أمنية حالت دون تحقق ذلك الرجاء. فمعلوم أن هذه الفنانة قد قررت أن تتبرع بمداخيل جميع حفلاتها لفائدة الحركة النضالية الفلسطينية الأمر الذي دفع الاسرائيليين وبعض المخابرات الأجنبية لإدراج اسم أم كلثوم ضمن اللائحة السوداء.

بعد لقائنا بباريس زارت أم كلثوم المغرب وأحييت به عددا من الحفلات في كل من مراكش والرباط والدارالبيضاء، وقد حرصت على أن أحضر كل تلك الحفلات وأن أواصل معها الحديث في قضايا ومشاريع ثقافية، وأذكر أن الصورة التي كونتها عن هذه الفنانة بمسرح الأزبكية قد ازدادت توهجا من خلال تعرفي عليها في باريس أو لقائي بها في المغرب. إن أم كلثوم ليست مجرد صوت بل هي فنانة وشاعرة وموسوعة ثقافية، وهي أيضا –وكما سجلت ذلك في إحدى المقالات– «نوع من الامتحان لأي عربي، امتحان عاطفته، وأحاسيسه خاصة في ظل العصر الحالي الذي يعرف اهتماما بكل ماهو غير مادي كعنصر يجب إدماجه للوصول إلى نتائج علمية». إنها –من جهة أخرى– عنصر توحيد بالنسبة للعرب الذين لم يتوحدوا في جميع الميادين باستثناء الإجماع حول قيمة صوتها وفنها. وهذه كلها عوامل جعلتني أتتبع تجربة هذه الفنانة وأوثق جميع أعمالها الفنية، وهنا لابأس أن أشير إلى بعض المعطيات التي

يحتفظ بها حاسوبي الخاص والتي تقدم لنا أرقاما حول عدد الأغاني وكتاب الكلمات والملحنين وغيرها من المعطيات، لقد غنت أم كلثوم على امتداد مسارها الفني 289 أغنية رغم أن كتاب «أم كلثوم» الذي أصدرته اللجنة العليا للموسيقى في القاهرة سنة 1975 والذي يعتبر المرجع الأساسي بهذا الخصوص يحصر هذه الأغاني في العدد 286، الفرق بين الرقمين يعود إلى أن سيدة الطرب قد أدت أغنية خاصة بإذاعة لندن وأغنية ثانية في حفل خاص بالكويت بالإضافة إلى مدائح سجلتها بالرباط.

من ضمن هذه الأغاني لحنت أم كلثوم لنفسها أغنيتين : «على عيني الحجر» (1928) و« يانسيم الحجر» (1939)، ولحن لها رياض السنباطي 89 أغنية ولحن لها محمد القصبجي 72 أغنية ولحن لها زكرياء أحمد 55 أغنية، أما كتاب الكلمات فيتصدرهم أحمد رامي الذي ألف لها 152 أغنية وأحمد شوقي الذي ألف لها 15 أغنية، يبقى أن أشير إلى أن أكثر السنوات التي عرفت أغاني جديدة في مسار أم كلثوم هي سنة 1927 (33 أغنية) وأقلها سنة 1950 (أغنية واحدة) في حين لم تقدم أم كلثوم أية أغنية جديدة سنوات 1925 و1929 و1933 و1947 و1953.

السخرية وحقوق الإنسان

□ تبوأ موضوع السخرية والضحك حيزا هاما في انشغالاتك الفكرية بحيث كنت من الباحثين المغاربة الأوائل الذين خصوا هذا المجال التعبيري بعدد من الدراسات. من أين تولد لديك هذا الاهتمام؟ وكيف تنظر إلى مكانة السخرية في عالم اليوم؟

■ لا أحد يجادل في أهمية الضحك في حياة الإنسان وأظن أنني انتبهت لأهمية هذا الموضوع بشكل خاص أثناء مقامي بأنجلترا بحيث أن المجتمع هناك يأخذ طابعا جديا في الظاهر لكنه هزلي ضمنيا، ولايمكن أن تعيش في انجلترا وتدرس الآداب بها دون أن يلفت انتباهك البعد الساخر لعدد من الكتاب والكتابات، وأعتقد أن الاهتمام بالسخرية هو أساس قوة الانجليز.

في سنة 1982 القيت في إطار أنشطة الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية عرضا حول السخرية بعنوان «استعادات واستشرافات» حاولت فيه أن ألقي نظرة على تاريخ هذا الشكل التعبيري وعلى

آفاقه المستقبلية، وقد بينت في هذا الإطار كيف أن القرآن يتضمن على الأقل ثماني إشارات خاصة بالضحك وهناك تقريبا سبعون إشارة أخرى لما يشبه نفس المفهوم، كما أن السيرة النبوية واضحة في هذا المجال فالنبي (ص) كان يتمتع بروح السخرية، ولذلك قلت أثناء ذلك العرض إن من الفائدة أن يضحك المسلم وأن يضحك على نفسه أولا، فقوة الضحك هي ألا تعطي لنفسك قيمة أكثر مما يجب ومعنى ذلك أن تسود روحك قيم التفهم والتفاهم والتسامح، وأعتقد أن الفنانين الساخرين يقومون أحيانا بدور تاريخي مشهود مثلما حصل أثناء حرب الخليج بحيث لاحظت أن الفنانين العربي الصبان (كاريكاتوريست جريدة العلم) وأحمد السنوسي قد قاما بكل واجبهما في تلك الفترة وبلغا ما لم يستطع الآخرون أن يبلغوه.

وهناك مؤلفات كثيرة تختص بهذا الموضوع ومن بينها مؤلف هام أصدره الباحث الاقتصادي الفرد سوني عن «السياسة والسخرية».

مجمل القول إن من الضروري أن يعاد الاعتبار للسخرية داخل العالم العربي والعالم الثالث بشكل عام فالفرق بين التقدم والتخلف على مستوى النمو الاقتصادي والحضاري يتمثل في كون الضحك عند الدول المتقدمة شيئا جديا في حين نجد الجد في الدول المتخلفة

يتحول إلى مظاهر مثيرة للسخرية والضحك.

□ نسألك -من جهة أخرى- عن نشاطك المستقبلي داخل المغرب فمعلوم أنك أسست مع عدد من زملائك الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية، كيف تبلورت فكرة التأسيس؟ وماذا عن مسار هذه الجمعية؟

■ سبق لي -كما وردت الإشارة إلى ذلك من قبل- أن تحملت باليونسكو مسؤولية الإشراف على قطاع الدراسات المستقبلية، ومن ثم تواصل اهتمامي بهذا المجال الحيوي إلى أن عدت إلى المغرب فلمست تفهما واهتماما مشتركا لدى عدد من الأساتذة الجامعيين ومن بعض الأطر التي تشتغل بالمؤسسات العمومية والخاصة وأذكر من هؤلاء المرحومين عزيز بلال ومحمد عزيز الحبابي وعبد المالك الشرقاوي وفتح الله ولعلو وعبد الجليل الحجمري ومحمد أبوطالب وأحمد الفاسي الفهري وآخرين، وكان أول نشاط نظمناه بمثابة اجتماع دولي انعقد سنة 1978 بمراكش حول موضوع «الاعتماد على النفس»، في ما بعد جاءت مبادرة تأسيس الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية فافتتحنا أنشطتها بندوة عقدناها ببني ملال حول موضوع التنمية واستمر عقد مثل هذه الندوات في موضوعات

مختلفة مرة كل سنة. في نفس الإطار كذلك كانت التلفزة المغربية قد خصصت برنامجا في ثلاث حلقات بعنوان «سمر» للحديث عن مغرب 2000 بحضور عدد من الشخصيات الفكرية والسياسية. وقد ساهمنا فيه ببعض الأفكار. والواقع أن هذه الجمعية قد قامت بدور التوعية في مجال تخصصها ويكفي أن نلاحظ هذا الاهتمام السائد اليوم والمتجلي في اهتمام عميق بالمستقبليات في عدد من الأطروحات الجامعية والمؤلفات وفي برامج وسائل الإعلام.

□ ساهمت بالإضافة إلى ذلك في تأسيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، كيف عشت التجربة، وماذا عن الواقع الفعلي لحقوق الإنسان؟

■ رغم وجود بعض المشاكل الطبيعي وقوعها في كل مشروع فأنا مرتاح للتقدم الذي حصل بخصوص مفاهيم حقوق الإنسان واحترام دولة القانون وبناء مجتمع مدني، ومرتاح لاتساع هذه المفاهيم لترتبط بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والمهم أن التقدم الحاصل بالمقارنة مع السنوات التي مضت أصبح من غير الممكن التراجع عنه، لكن المشاكل تبقى مع ذلك قائمة على مستوى التطبيق، وأرى أن على كل مواطن ومواطنة أن يأخذ تلك المفاهيم

والمبادئ مأخذ الجد بالاعتماد على النفس أولا وقبل كل شيء مع الاستعداد لأداء الثمن اللازم من أجل تحقيق هذه المفاهيم والمبادئ، وإذا نظرنا إلى جميع الحقب التي مر بها تاريخ الإنسانية فسنجد أن القيم العليا لم تعط بل انتزعت فللأسف لاتزال حقوق الإنسان تخرق سواء على الصعيد المحلي أو العالمي.

وأعتقد أنه رغم التقدم الحاصل في الثقافة الحقوقية فيجب أن تعمل المؤسسات السياسية وغيرها والأشخاص المؤمنون بقضية حقوق الإنسان على مواصلة الدفاع عن هذه المبادئ لتتحقق شروط جديدة على مستوى الحياة اليومية.

الاستعمار مونولوج حضاري

▫ تنبه باستمرار إلى أهمية البحث العلمي الذي ينبغي أن يحظى بمكان الصدارة في اهتمامات الدول. كيف تنظر إلى واقع هذا البحث في ارتباطه بقضايا التنمية والثقافة ؟

▪ إن ما تصرفه الدول على البحث العلمي هو واحد من المقاييس التي تحدد درجات النمو الاقتصادي والاجتماعي، على أن هذا البحث لايمكن أن يحقق نتائجه إلا إذا توفرت له شروط حرية الإبداع والتفكير والكتابة، ولا وجود لبحث علمي بدون الحرية ... وبدون تحقق الالتحام ما بين الباحثين والقطاعات الاقتصادية، وما يحصل في العالم الثالث هو الانفصال التام ما بين العاملين في البحث العلمي وقطاعات الاقتصاد ومجموع القطاعات المنتجة داخل المجتمع، والواقع أن العالم الثالث تنتظره خطوات كثيرة في هذا المجال، ولا يمكن للنهوض أن يتحقق ما لم تحظ مسألة البحث العلمي بالأهمية الكافية وتصبح جزءا من صميم الجهد المبذول يوميا. إن مسؤولية

تطوير البحث العلمي لا تعود فقط للمسؤولين في القطاع الحكومي أو العمومي، بل تعود كذلك إلى الأساتذة الذين يجب عليهم أن يجددوا معرفتهم باستمرار، ودون ذلك يصعب عليهم أن يقوموا بواجبهم كأساتذة وكباحثين..

وأود أن أشير إلى مناسبة أفادتني كثيرا ونبهتني إلى أهمية البحث العلمي في علاقته بمعارف مختلفة ذلك أن جيسكار ديستان الوزير بالحكومة الفرنسية كان قد نظم -أثناء تحملي مسؤولية نائب المدير العام في التخطيط للمدى الطويل والمستقبليات -ندوة بمساعدة اليونسكو حول موضوع «الاقتصاد والثقافة»، وقد نشرت مداخلاتها بكتاب تضمن مساهمات عدد من الشخصيات، وقد سمحت لي الظروف أن أكون واحدا من هؤلاء المساهمين. ذلك أن ندوة في مثل هذا الحجم ينظمها وزير للاقتصاد والمالية كان لها تأثير قوي على مساري وشكلت بالنسبة لي نقطة انطلاق للاهتمام بموضوعات الثقافة في علاقتها بالاقتصاد والتنمية.

◻ تحدثت في مقاطع عديدة من هذا الحوار المفتوح عن المسألة الحضارية ورهاناتها الحالية والمستقبلية ونود أن ندقق النظر معك بعض الشيء : هل هو صراع الحضارات أم حوار الحضارات؟

■ جاء الصراع كمفهوم جديد أما الحوار فهو هدف، ذلك أنني إذا أردت أن ألخص حياتي في عبارة واحدة أقول إن هدفها هو الحوار الحضاري بماهو محاولة للتجاوب مع الآخرين واحترام سلم القيم لديهم والأخذ بعين الاعتبار خصوصياتهم الذاتية، فبدون ذاتية لن يكون هناك حوار. إن الاستعمار كما فهمته وعشته هو مونولوج حضاري، والدفاع عن حوار الحضارات -كما سبق أن أكدت ذلك مرارا- هو في نفس الوقت دفاع عن جميع الحضارات التي تشكل في مجموعها التراث الشامل للانسانية جمعاء، كما أن هذا الحوار هو نصيغة الوحيدة لمواجهة الطغيان الذي تواجهه شعوب وحضارات، الشعب الأمريكي بنفسه يخضع لطغيان مالي واقتصادي وسياسي ورمزي وما فيوزي، ونفس الشيء بالنسبة للشعب الفرنسي وغيره، ولنأخذ فكرة عن هذا الموضوع أشير إلى أن عدد 19 يناير 1996 من جريدة لوموند الفرنسية قد تضمن دراسات ومقالات عن حصيلة السنة الفارطة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد قرأت من ضمنها تصريحا للوزير الأول الفرنسي سابقا إدوار بالادور جاء فيه ما معناه أن النموذج الفرنسي مهدد من طرف نموذج البلدان الأنكلوساكسونية الذي يرتكز على قوة اقتصادية ولغوية ستصبح

ثقافية، وآنذاك تشكل تهديدا للآخر وتصبح عالمية، هكذا يتحدث بالادور عن تهديد نموذج بلده من داخل نفس الحضارة المبنية على القيم المسيحية اليهودية أي الفرنسية والأنكلوساكسونية. أما بالنسبة لنا في العالم الثالث فهناك جمود يجعلنا متأخرين بالفعل، ويجب أن نتحرك بسرعة أكثر لنلتحق بقطار الحضارة الانسانية، ولا أرى أن ذلك ممكن ما لم نستعد قيمنا الحضارية المتمثلة في الإسلام وفي مجموع الحضارات العربية والإفريقية. إنني حين أسست جائزة الحوار شمال جنوب سنة 1991 فلأسهم إسهاما آخر في خدمة مبدأ الحوار الحضاري، وقد أثارني هذه السنة التي حظي فيها بالجائزة كل من أحمد الأخضر غزال وفرانسوا بوربا أن هذا الأخير وهو اختصاصي في قضايا الإسلام والعالم الاسلامي قد طلب مني أن أدفع القدر المالي المقرر منحه له لفائدة مؤسسة أو جمعية تشتغل ضمن نفس أهداف هذه الجائزة.

□ الدكتور المهدي المنجرة، تختم هذا الحوار بالسؤال التالي: كيف تنظر إلى مسارك الفكري بشكل عام، وماهي الصيغ التي تأخذها أفكارك في هذا القطاع أو ذاك؟

■ الجواب الموضوعي عن هذا السؤال يتحدد من خلال معرفة

كيف تجعل أفكارا ما مرجعا للآخرين، فكل مشروع فكري يقاس بدرجة التأثير.

لقد اشتغلت في إطار التعدد المعرفي واهتممت بمجالات تبدأ بالكيمياء وتنتهي بالمستقبليات مرورا بالإعلاميات وعلم الأديان والاقتصاد والسياسة وغيرها من المعارف والاختصاصات ... وأعتبر أن نشر الأفكار فعل ضروري فإما أن تنشر ما تفكر فيه وإلا فلا وجود لك، وبالنسبة لي فهنالك حوار متواصل مع عدد من الشخصيات ومع قرائي، وهناك أكثر من 550 نصا منشورا لي، وهو يمثل ما يقرب من 9000 صفحة بخمس عشرة لغة ومن بين هذه النصوص سبعون مقالا تمثل 400 صفحة صدرت لي بجريدتي «المحرر» و«الاتحاد الاشتراكي».

ملحق

التجارة والتجار

ضرورة الفلاحة للتجارة – قلت إن التجارة إليها يرجع مدار الفلاح في فلاحته وذلك أن التاجر هو المروج له نتائج أعماله والميسر عليه طرقها، فيجلب له ما يحتاج إليه من المواد والآلات اللازمة للفلاحة ويشتري منه محصولاته وينقلها ويسوقها للخارج أو يتركها لوقت حاجة البلاد إليها. ولولا التاجر والتجارة لكان الفلاح ملزوما أن يبيع للمستهلك رأسا ولأهل بلده فقط، وفي الزمان الذي يتيسر له البيع ولا يكون إلا عند الحاجة، فمتى يكون له وقت للاشتغال بفلاحته ومتى تتيسر له الأسباب والمواد وكل التسهيلات التي يقدمها له التاجر وتخدمه بها التجارة التي أهمها أنه بمجرد ما يتفرغ من العمل يجد من التاجر إقبالا على محصولاته فيشتريها منه ويعمر الفلاح يده بقيمتها، وبسبب ذلك يجد قابلية وشجاعة وعزما أكثر مما سبق، فالتجارة إذا هي روح الفلاحة وضرورة لها. والحقيقة الواقعة في تاريخنا هذا أن الفلاحة صارت اليوم محض تجارة بل أعظم تجارة حيث تقدمت بتقدم التجارة فيها وارتفاع قيمة ما تنتجه من المحصولات ارتفاعا باهضا ثم إنها صارت على نسق يسهل معه

تعاطيها لكل طبقات التجار أهل المعمل والمال حيث أن أمرها الآن مالي، وبالمال تقوم الأعمال، سيما ببلادنا التي لانتيجة فيها حتى الآن تعادل نتائج الأرض وما يتبعها من تربية الماشية وصناعة الحليب والزبدة والجبن بأنواعه، وفي هذه الصناعة من الغنى ما لايستهان به، ومع الأسف لايوجد أهلي يلتفت إليها لجهله بها وبطرقها، وأرض المغرب غنية عن التعريف بجودة تربتها وغناء موادها ووجود السماد الكافي من طبيعتها زيادة عن وجوده بكثرة بالمغرب وحسن المناخ واعتدال الهواء وعذوبة الماء مما يدل على توفر الشروط للنجاح، وبذلك كانت أحق بالاستغلال من غيرها وأنجح بشرط أن يكون العمل بعلم واقتدار ونظام مع استعمال الطرق العصرية من آلات الحراثة والحصاد والدراس والقلع والغرس والتلقيح مما هو أجدى نفعا وأقل صائرا.

اعتماد الصناعة على التجارة – قلت إن الصناعة معتمدة على التجارة إذ لايخفى أن الصانع ما يباع في بلده وخارجها في سائر الأزمنة، وهناك ما يباع في زمن معين ويصنع ماهو من المواد البلدية والأجنبية المجلوبة من خارج البلاد؛ وحيث أن الصانع يستهلك جميع أوقاته في الاشتغال بصناعته فلا يمكنه مقابلة ما يحتاجه من الخارج إذ لو كان كل صانع ملزوما ببيع مصنوعاته كلها بيده مع ما

يتبع ذلك من أمور متعلقة بصناعته لاحتاج من المال والزمان ما لا قدرة له عليه، على أن التجارة سهلت له الوسائل بشرائها منه مصنوعاته وجلبها له ما يحتاج إليه من المواد المتوقف عليها، هذا ما يتعلق بصنائع قطرنا. أما عند الأمم الراقية فإن جل المصانع والمعامل الكبرى والمشاريع العظمى تقوم بأعمالها بنفسها وبنشر بضائعها وإشهارها بما هي عليه من الأساس المتين من علم ومال ونظام وتعاون وتعاضد في الأمور اللازمة لكل عمل ذي بال، فلأجل ذلك قلت إن الصناعة هي عين التجارة، والله الموفق للصواب.

الباب الثاني في الواجبات العلمية

رأس المال الأدبي – لقد قيل أن ثروة العلم والأدب خير ألف مرة من ثروة الفضة والذهب، لذلك يجب على مريد التجارة أن يكون صاحب خصال حميدة وآراء سديدة وأفكار حرة وأخلاق حسنة وكياسة ونباهة وصدق وإنصاف وإخلاص وعدل وأمانة واستقامة ووفاء واجتهاد وثبات دائم. وهذه الأوصاف لابد منها للتاجر الذي يريد أن يكون تاجر اليوم والغد ويعيش في هناء ورغد إن كانت له همة ورغبة في التجارة فليعود نفسه هذه الخصال الحميدة التي ستبين

نتيجة كل منها في التجارة حالا ومئالا إذ على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وعلى نسبة ما شاهدت عيانا من التجارة وسلكته بالقدم رأيت أن المتصفين بما ذكر من الأخلاق بلغوا مناهم ووصلوا إلى المعالي وشادوا الدور والقصور وعمت متاجرهم البلاد وطار اسمهم في المعمورة، وقد اتجرت منذ صغر سني وبالأسف ما كان أبعدني عما سطرته اليوم وما أسعدني لو كان لي من العلم والأخلاق ما يفيدني ولكن ما فاتك علمه أولادك والله سبحانه ولي الجميع

القراءة والكتابة والحساب - يجب على مريد تعاطي التجارة وجوبا حتما أن يعرف القراءة والكتابة والحساب، وهذا أوجهه إلى مواطني الكرام فقط إذ ذلك محتم في كل الأمم على كل فرد فرد ذكر وأنثى، لأن التاجر أول ما يحتاج أن يعمله بنفسه كتابة رسائله وقراءتها وتقييد حساباته وضبط دفاتره وإلا فإنه محتاج لغيره في كل أموره سرها وجهرها وبذلك يطلع الغير على موارده ومصادره وفي ذلك ما فيه من إفشائها للناس كما أنه في حسابه متكل على الغير، ولايضبط حساب الإنسان ضبطا غير نفسه، ومن المعلوم أن جوهر التجارة وروحها هي هاته النقط المهمة وهي معنى الأسم في التجارة، فإذا قيل أن الدار الفلانية باعت إسمها بمليون أو اشترته بمبلغ باهض فمعناه تسليم البائع للمشتري دفاتره وحساباته وزبنائه وما يشتري

ومن أين ولمن وبكم والفرق بين ذلك وإحصاء الأشياء ومقاديرها، هذا هو الإسم وهو روح التجارة، فإن كان التاجر ذا معرفة واقتدار في البيع والشراء وله زبن وحسن سيرة ولايعرف الكتابة وضبط الأمور التجارية ويراقب عماله وكتبته فهو صاحب تجارة واسم، ولكنه يضيع جوهرها بسبب اطلاع عماله على سر تجارته، فهي لامزية لها لكون أحوالها ذائعة مشهورة، وليس المراد بالقراءة تخطيط الحروف وتقييد زمام الحساب فقط كما هو الشأن في بلادنا، بل لابد في ذلك من معرفة كافية موصلة للمقصود، إذ القراءة والكتابة إنما ذلك سبب موصل لغيره، فيجب على إخواننا المغاربة الذين أهملوا تعليم أولادهم أن يعتنوا به ويغلبوا أنفسهم ويقاوموها عن بخلها لتتميم قراءة أبناءهم وذلك خير لهم لو كانو يعلمون، سيما وقد كثرت المعاملات بكثرة انتشار المتاجر وتعدد طرقها واختلاف أساليبها، وجل هذه المعاملات صارت تكون باتفاقات وعقود، ففيما قبله كان الانسان يعتمد في عقوده ومعاملاته على العدول،أما الآن فقد صار يمضي العقود بنفسه ويشهد عليها بإمضائه فإذا لم يكن عارفا كاتبا منشئا فاهما لمقاصد الألفاظ كان الباحث على حتفه بظلفه وجادع أنفه بكفه، كذلك الحساب له أهمية عظمى يتوقف عليه في تقدير الأثمان وقياسها مع البلدان الأخرى واختلاف العملة وقيمتها

والمكاييل ومقادرها لهذا وجبت معرفة الجمع والضرب والطرح والقسمة والجبر والكسور على الأقل.

اللغة الأجنبية – قد بينت فيما سبق وجوب تعلم الكتابة وما إليها وأرى أنه ينبغي للتاجر ولا أبالغ إذا قلت يجب عليه معرفة لغة أجنبية لتعينه إعانة فعلية مهمة لايستهان بها في تعاطيه التجارة خارج بلاده، إذ بها تكون له اليد الطولى مع الدور التجارية والمعامل الصناعية وبها يستورد البضائع رأسا ويخابر أهلها ويخرج من تحت أسر النواب والسماسرة والوسائط الذي يستخدمون التاجر الجهول لمصالحهم ويحصلون على الغنى بمجهوداته وأمواله بطريقتهم العلمية التي لاحجاب بيننا وبينها سوى تعلم العلوم العالية واللغة والحزم والإقدام، ومن البديهي أن أحسن لغة يتعلمها الإنسان بعد لغته هي اللغة الفرنسية المعروفة بعذوبتها وغزارة مادتها واتساع دائرتها بالانتشار والتي قل أن تجد أمة من الأمم تجهلها لأهميتها، وهي غالبا اللغة الرسمية للمخابرات الدولية، وإذا أردت أن تعلم أن اللغة المذكورة من أهم وسائل النجاح فخذ لك دليلا وانظر بعين البصيرة والاعتبار فانظر إلى تلك الشرذمة القليلة من الطائفة الاسرائيلية المتفرقة في كل أطراف الإيالة المغربية في سائر النقط وقارن بين عددها وعدد مسلمي المغرب ثم انظر ما بيدها من التجارة وقيمتها وما بيد

الآخرين تجد الفرق عظيما والبون شاسعا، وأرى أن معينهم الأكبر في ذلك هو تزاحمهم على المدارس وتقدمهم في القراءة وتسابقهم لتعلم اللغة الأجنبية وانكبابهم على موارد الاقتصاد بفضل ما ينالونه من العلوم فوق ماهم معروفون به من النشاط والاجتهاد، فيلزمنا إذا نحن الآخرون الاعتناء بتعليم أولادنا وحضهم على الانكباب على موارد الثروة الوحيد -العلم- خصوصا وأسباب التعليم بأنواعه متوفرة متيسرة حتى يحصلوا على ما يؤهلهم لنفع بلادهم تجارة وتوظيفا وغيرهما، ويكفيك أن تقارن بين عدد المسلمين واليهود بالمدارس فتجدهم على قلة عددهم الأصلي بالنسبة إلينا أكثر من أبناءنا، ثم انظر اهتمامهم بتعليم أولادهم وماذا ينفقون عليهم وتأمل متى تنبهوا للعلم وأسسوا الجمعيات وجمعية الاتحاد الاسرائيلي (لاليانس) في كل مدينة من مدن المغرب وصناديقها مملوءة وأعضاؤها قائمون بأموالهم وأعمالهم بجد ونشاط، ورغما عن كون المدارس مملوءة منهم فإنهم مستمرون على العلم والإنفاق في سبيله والحق لهم لأن الحياة بلا علم عدم، ولا أدري ما يمنع الأهالي من تأسيس جمعيات للتعليم تشبه جمعية لاليانس تحض على التعليم ونشره وتقدمه وتشجيع الناجحين، وقد يوجد عدد عظيم من الأغنياء ببلادنا ولكنهم مع الأسف أغنياء لأنفسهم فقراء القلب من

الشفقة والإحسان ضعفاء الهمة على عكس أغنياء الأمم الذين يسعون بكل ما أوتوه من قوة مالية في نفع أبناء جلدتهم بل وبني الإنسانية جمعاء، وبذلك تقدمت الأمم بأفرادها وأغنياءها أهل الهمم العالية والخير والمروءة والذين فتح الله بصيرتهم فعملوا للمستقبل ونظروا للمصلحة العالية الدائمة ولا مصلحة أعظم من التعليم. إن من ألقى نظرة على المغرب بأسره لايجد أثرا جديدا لأبناء العصر في سبيل العلم وتجديده ولايوجد من تبرع تبرعا يستحق الذكر في سبيل العلم وإحيائه وتقدمه مع أن الإنسان إذا طالع المجلات العلمية والصحف الأدبية يجدها مملوءة بأسماء المتبرعين والمؤسسين لمعاهد العلم وإحيائها حتى ليخيل للإنسان أن المغاربة ليس لهمم شعور ولا إحساس أو ليسوا من الأمم التي تقدمت في العلم ومجده، ولولا الآثار العلمية الموجودة من قديم لصح لقائل أن يقول بعدم وجود أي أثر للعلم بهذه البلاد التي نمى فيها غرسه زمنا طويلا، ولقائل أن يقول أن الجمعيات لاتصادف إقبالا من العموم أو مساعدة فأجيب أن الأمر كذلك إذا هي خرجت عن محور الدائرة العلمية واشتغلت بما لايعنيها من السفاسف، أما إذا اتبعت الطريقة المثلى فإن الإقبال عليها يكون عظيما من العموم ويمد الكل لها يد المعونة وتساعدها الحكومة مساعدة فعلية مثلما ساعدت الاسرائليين، وكل عمل كان

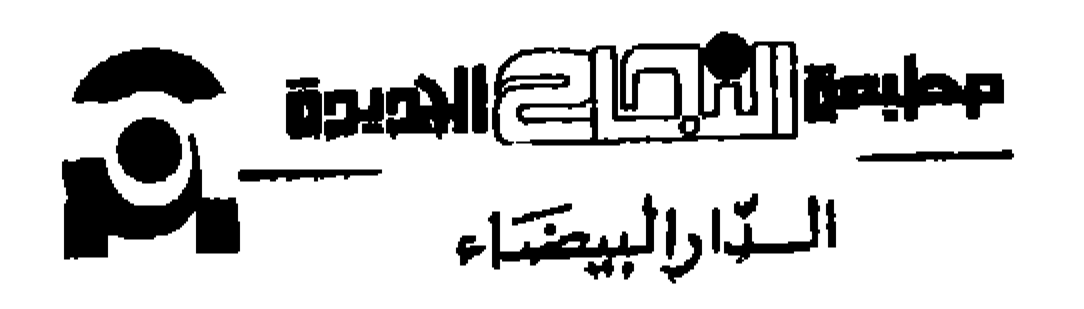
الإخلاص أساسه والصدق رائده فهو ناجح، وغاية ما يقال أن المغرب محتاج إلى نشر التعليم، فلا طمع في التقدم ما لم يعم التعليم سائر الطبقات، فالرجاء أن يستيقظ الناس لهذه المهمة العظمى وسعملوا للمصلحة العمومية ويجتهدوا فيما يوصل أبناءهم إلى مصاف الأمم الراقية كما لنا الأمل الوطيد في زيادة الترقي والتوسع من طرف ولاة أمرنا.

ونؤمل من كتاب العصر وأبنائه المصلحين أن يعملوا ما وجب عليهم من الكتابة في موضوع الحث على العلم والتعليم والتربية الصحيحة والأخلاق الحسنة فإن ذلك أعظم واجب عليهم وعلى الله التمام.

محمد المنجرى

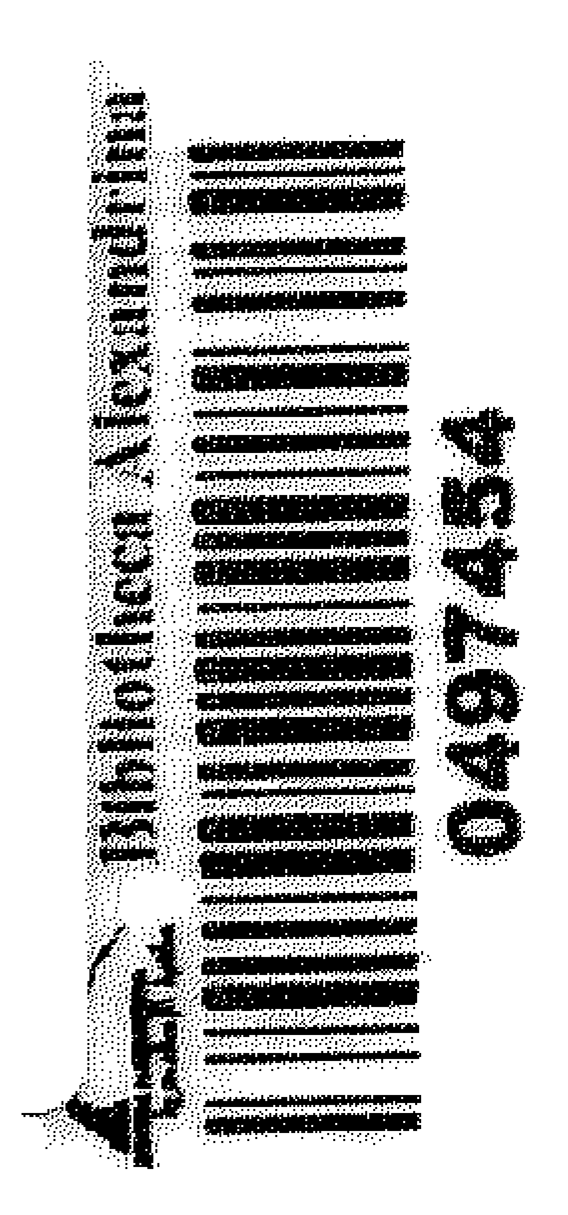
جمادى الأولى 1352 موافق 1933/09

الفهـرس


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

بالنسبة إلينا، اعتبرنا منذ البداية أن حوارنا مع المهدي المنجرة لاتستدعيه فقط اعتبارات مهنية، بل ضرورة ثقافية أساسا واستجابة لرغبة في تكريم رجل وطني صادق ونزيه كرَّس جهده ووقته وإمكاناته الذاتية لخدمة بلاده وشعبه وهويته العربية الإسلامية، هويته كمثقف من جنوب العالم أساسا.

في هذا الحوار إذن محاولة لتقديم مسار فكر، محاولة أيضا لكتابة سيرة ذاتية أولية قد يتاح للدكتور المنجرة نفسه أن يكتبها يوما بكثير من التفصيل والتدقيق والاستعادة، وذلك لأن الحاجة إلى مثل هذه السير تظل أساسية في رصد مسار الثقافة المغربية عبر أسفارها وأبعادها وتحولاتها المختلفة. فالأمر أولا ليس مجرد إشباع للذات، بل لاقتناعنا بأن الحضور الخاص للأفراد - خصوصا أولئك الذين من حجم المنجرة والجابري والعروي..، نقصد أركان الفكر المغربي - ليس حضورا في ذاته، وإنما هو منطلقات وامتدادات في الخطاب والممارسة.



24 د.